

Journal of Social Research – London

JSRL Forum: *alternative academic approach to Sudanese affairs*

Vol 1, issue 1. Oct-December 2020

EDITORIAL

JSRL is a forum of social scientists and other academics concerned with a concerted effort to present an alternative approach to viewing Sudanese affairs. Its aim is threefold:

1. Provide a point to bring together different experts in the Social Sciences and other disciplines from the Sudanese community, both home and abroad. This is to contribute to the debate with a fresh and, it is hoped radical insight.

2. Provide a milieu for the convenient provision and exchange of books, journals and other intellectual material in Arabic and other languages for generations of our people who may not know Arabic.

3. Act as an independent and reliable source of quality research in Social Sciences for the benefit of Sudanese people

Issue 1 Publications:

1. Democracy and Prejudice: a Journey of Ideology in the Twilight Zone of Anglo-Saxonism [published]

2. (الحبيب) الإمام الصادق المهدي: عميل الإستخبارات الأمريكية [upcoming]

Contact and Subscriptions:

JSRL@London-eth.com

المروّة يا ناس: لأجل بلد يستجدي, وأهل أضانهم التعب

البحوث الإجتماعية كجزء من الحل

العدد الأول. كلمة التحرير

دورية البحوث الإجتماعية, لندن (دبال) مبادرة بطموحات واقعية. دبال تمثل منتدى لعلماء الإجتماع وغيرهم من الأكاديميين. الهدف هو عمل جاد للغاية لتقديم طرح بديل (ليس فقط مختلف) للمسائل السودانية. المبادرة تطمح لتحقيق ثلاثة أهداف:

1. توفير مَجْمَع لالتقاء المختصين في العلوم الإجتماعية ومجالات أخرى من أفراد الجاليات السودانية داخل وخارج البلاد؛ لمساهمة جديدة تكون جزءً من الحل لمشاكل سودانية مزمنة لأجيال.

2. إتاحة مستودع معرفيّ في المتناول لتقديم كما تداول مواد مختصة وبحوث عن تاريخ, اقتصاد وسياسة السودان.

3. العمل كجمعية مستقلة ذات مصداقية تكون مصدرا يُعتمد عليه لبحوث علمية ذات جودة ونفع للمواطنين والمؤسسات السودانية.

كل عدد سيوافي القراء بالجديد من انتاج دبال. المنشور لا يعبر بالضرورة عن رأي فريق التحرير؛ لكن هناك التزام بخط رصين ومتوازن يعطي الفرصة لكل الآراء في إطار تفكيك الإستعمار.

والله الموفق.

64 Years of Social Failure?



For sixty-four years since Independence, people have been writing and others reading. In due course the text written and read is shared in the spoken form, shaping culture, perceptions, memories. Generations have departed the country for various ends: careers and families abroad with mixed fortunes, displacement at refuge centres, temporary and sometimes permanent exile. But whether the view is from Khartoum or thousands of miles away from it, there is a haunting legacy of failure for most stakeholders. The social horizon, among the most important of horizons is one of uncertainty: the kind of uncertainty where future social, political and economic actions may and do inspire hope, but alas produce similar results – repeated cycles of failure. Among the most pessimistic of societal assessments a serene voice may be heard: 'we went from broken institutions to a broken society'. Both home and abroad, the echo of that voice , transmitted in the wilderness of so many of us, irrespective of individual successes seems to bounce back and forth between walls that became tired of receiving familiar and similar questions over and over: Where did we go wrong for 64 years? What have the social and political scientists been doing? And what was the result of all that writing and all that reading?

Editor-in-Chief: M. Sakharov

As a rule, e-issues are free. Contact the Editor at: JSRL@London-eth.com

Democracy and Prejudice

Mazin Sakharov (Ed), (Author)

ISBN: 978-0-9554790-2-1

Published by London Engineering and Training Horizons, London, United Kingdom

Details of vol 1 publication:

#	Item	Details
I	ISBN	978-0-9554790-2-1
II	Type	Journal collection vol 1, Sep-Dec 2020
III	Editorial Rights	Journal of Social Research, London (JSRL)
IV	Name of collection	Democracy and Prejudice
V	Genre	Social and Political Sciences
VI	Language of Publication	Arabic العربية
VII	Publication date (paper version)	February 2021
VIII	details of collection (individual titles)	1. Democracy and Prejudice: a Journey of Ideology in the Twilight Zone of Anglo-Saxonism الديمقراطية والتحيز: رحلة أيديولوجيا في المنطقة الظلامية الأنقلوساكسونية 2. The (Endearing) Imam Sadiq Al-Mahdi, CIA Agent (الحبيب) الإمام الصادق المهدي: عميل الوكالة المركزية الأمريكية 3. Lying with Intent – The Fabricator General, Ahmed Suleiman: Deconstructing his allegation of the collusion between the Soviet Union and the Sudanese Communist Party to plan and execute the 1971 coup الكضيضيب: المفبرك العام, أحمد سليمان, وتفنيد زعمه بتواطؤ الإتحاد السوفييتي مع الحزب الشيوعي السوداني للتخطيط لـ وتنفيذ إنقلاب عام 1971

Publisher's email info: JSRL@London-eth.com

الديمقراطية والتحيز, بقلم مازن سخاروف (معاذ عبدالله), مهندس وباحث سوداني

جدول المحتويات

الإهداء

إلى إي. سي. نوث, E. C. Knuth. هذا العمل لم يكن لِيَتم دون إلهام من هذا الرجل

الذي وفر علينا كتابه عن الطبيعة الإنفصامية لـ "المدينة" الإمبراطورية, الكثير من الجهد

العديد من النتائج التي توصل إليها نوث في كتابه المذكور إما حققتها مباشرة من مراجعها التي ذكرها نوث, أو توصلت إليها ببحث مستقل. هناك ما حققته وتوسعت فيه, وهناك ما هو بحث قائم بذاته اجتهدت فيه بمفردي. ركيزة نوث البحثية, المدينة وميزان القوى Balance of Power, بينما ركيزة بحثي المدينة و"السلطة المنتخبة", وأربعمائة عام من القهر.

الإهداء أيضا لتجاني, مجاهد, ورفاقٌ تقطعت بهم الدروب من أبناء وطني

م. س

الديمقراطية والتحيز, بقلم مازن سخاروف (معاذ عبدالله), مهندس وباحث سوداني

الديمقراطية والتحيز: رحلة أيديولوجيا في المنطقة الظلامية الأنقلوساكسونية

مازن سخاروف (معاذ عبدالله), مهندس وباحث سوداني   jsmtaz2014@gmail.com

دورية البحوث الإجتماعية, لندن (دبال), أكتوبر 2020   JSRL: jsrl@London-eth.com

قبس Abstract

هذا البحث ذو اهتمامين: تصورات ومترادفات مختلفة تتعلق بالديمقراطية, السلطة المنتخبة representative government والدساتير (نظريا كما تطبيقا) في فكر الأنقلوساكسون*؛ وترسانة من التحيز وخلط الأوراق من عمق تلك التصورات. سنرى أن الخطاب المهيمن في مجموعه the dominant discourses يستند على افتراضات فوقية وتحيز نظري theoretical bias لدرجة الدهشة. أي ليس تحيزا يتعلق بهامش الخطأ المحتمل, بل تحيزا عميقا – يحمل أيديولوجية منغلقة وغير موضوعية. التحيز المقصود يخلق أوضاعا مختلة و سوء فهم يؤدي إلى نتائج كارثية:
أولها الفهم في فشل علاقات حرجة جدا في دنيا السياسة في العالم الثالث كما الأول. وثانيها ديمومة وتمدد دعوة مثالية خيالية للحكم على أساس مختل flawed foundation. نقطة ارتكاز البحث من شقين: الأول تحليل للفكر الإمبراطوري الأنقلوساكسوني– الرؤية الأنقلوساكسونية للعالم والتحيز الذي تحمله كما اقترحنا؛ والثاني الثغرات النظرية والدستورية في نموذج الحكم الذي تشترك تلك الرؤية مع رؤى غربية أخرى في الدعوة والدعاية لهـ–أي السلطة المنتخبة representative government. ويخلص البحث إلى ما يترتب عليه كشف ضعف النموذج المقدم: أي تسويق السلطة المنتخبة وكأنها سلطة ديمقراطية؛ كأنهما شيئ واحد أو روحان حلتا في جسد. ومآلات التحيز في المقام الأول بالنسبة لعالم ثالث لا يزال ينتظر الخلاص على يد السلطة المنتخبة.

على هامش البحث: إشكالات الفكر الإستعلائي الأنقلوساكسوني: إذ يميز ضمنما يميز حتى رجالا (ونساء) بيضا آخرين. الفرنسيون مثلا لاتينيون مُرَوْمَنون (دماء, وثقافة رومانية) Romanised ؛ ويُعتبر الروس بذات الفهم آسيويين. التمييز الظلامي شمل أمما بيضاء كالأيرلنديين. والكل يُعد في مرتبة دنيا تحت الأنقلوساكسون. فالتمييز زئبقي يتموّه حسب متطلبات المرحلة.

* كما هو مؤسَّس للإصطلاح, رغم المبالغة,التخييل والعطب في تطوره. إنظر على سبيل المثال ريجينالد هورس, أصول العرقية الأنقلوساكسونية قبل عام 1850 <1>. لكننا نفهم المقصود من الإصطلاح وحاله حين يقول سمير أمين مثلا '[..] of the kind common in Anglo-Saxon traditions of social management.' المصدر: Capitalism in the Age of Globalisation, 1997, ص.137. بكلمات أقل: أيديولوجيا الهيمنة بذريعة تفوق مزعوم للأنقلوساكسَنس.

إفتتاح:

"رجل الصين Chinaman متعدد المهارات. من بين كل الأجناس الرخيصة يبدو المنغوليّ الأكثر مضُيّا, الأكبر قدرة على كسب نزاع. نكاد أن نقول يبدو (! المترجم) أننا كنا مخطئين في مقاييس تفضيل الأشياء في العموم, أننا لم نكن مصيبين في استعمالنا للإصطلاحات "أجناس دونية" و"أجناس رفيعة".

إن رجلا أبيض متعلما يستطيع أن يفحم أو يمضى أبعد من صيني أو زنجي متعلم. لكن تحت ظروف مناخية معينة, فالزنجي يستطيع أن يبزّ الرجل الأبيض. وتحت كل الظروف تقريبا فالصيني يستطيع أن يفوقه. عندما يحدث ذلك, أليس من الأفضل أن يُدعى رجل الصين Chinaman أو الزنجي الرجل الأفضل؟"
تشارلز وِنتوَث ديلكه, بريطانيا العظمى: أسفار رحلة في دول لغتها الإنجليزية, 1869 <2>

التأملات العنصرية أعلاه تنتهي بسؤال تقريري لا يبدو أن العقلانية تنقصه. السؤال الذي يطرحه الكولونيالي ديلكه و نستهل به مغامرتنا الإستكشافية بحثا عن الحقيقة سيُبَت فيه في منتصف شوط البحث الأول على يد كولونيالي آخر في ص.9 (مواضع النص حين الإشارة إلى صفحات بعينها قد تتغير حسب الإعداد الطباعي للنص typesetting, فوجب التنويه).

السلطة المنتخبة (كذبة المنبر) ومصيدة المفاهيم

قبل السقوط: الدرس الذي لم يُتعلم أبدا

في السودان (كما بلدان أخرى في المنطقة), نقترح ومن البداية أن تصور الديمقراطية بمعناها وشكل ممارستها الحديث يعاني من أخطاء في المفاهيم عند عدد من أصحاب الشأن أو stakeholders. تلك الأخطاء تتسبب في فشل متكرر وتؤدي بكل أسف إلى نتائج كارثية.

بشكل عام الجماهير كما النخب تعتقد, سواء عن حسن نية أو عدم معرفة بوجود نموذج كعكة ديمقراطية تبدو في الأفق. هذا الأفق قد يكون قريبا أو بعيدا, ولكن إن لم يكن النموذج باديا للعيان في أفق مرئي, فهو على الأقل حلمٌ مشروعٌ في دائرة المنال. نموذج كعكة, إذن الحصول عليه متاحٌ للجميع–كل الأمم والأعراق بلا استثناء. وإن هناك يدا بيضاء تشع من قلب الغرب الأوربي, مبسوطة للمعذبين في الأرض تهديهم سبل البرلمانية في تداول السلطة, والرشاد في تحكيم العلاقات الإنسانية في إطار مؤسسي.

سوء الفهم الذي نعنيه ليس مقصورا وحسب على "متاحية" الديمقراطية للراغب فيها ممن لم يحصل بعدُ عليها. بل كذلك يـَفترِض بالضرورة الحصول على تقدير واحترام ذوي الحظوة ممن حازوها (أي الديمقراطية) مسبقا. كما إعتراف هؤلاء بأولئك الذين وإن تأخروا في مسيرة الركب للحصول عليها من بعدُ, ولكنهم آنما "وصلوا" في النهاية, فأنعم بها من بشرى, ولله الحمد والمنة. وستكتمل الفرحة من بعد ذلك حين يفتح السابقون من ذوي الحظوة في الديمقراطية ذراعيهم للاحقين بكل ما هو متوقع من تشجيع وتحفيز ودفئ يصاحب الجميل والأجمل, فيكون "شربات فرح" في الإنسانية سيخلده المغنون والمبدعون.

في سوداننا المنكوب بمحن السياسة وعقوق أبنائه, يحفل تاريخنا بتسميات مألوفة ومعتادة لوصف الترتيبات والأوضاع السياسية بكل مناكفاتها ومآسيها. ولكن الملاحظ أن المسمى في التاريخ يقوم في مجمله على فصل التباين بين ضرتين, الديمقراطية والعسكرية. والديمقراطية تشمل الكفاح المدني كما الكفاح المسلح ضد السلطة العسكرية. الديمقراطية كضامن للحريات والحقوق عند الكفاح المدني, والدمَقْرَطة (أو جعل الديمقراطية) ولو بالتدريج في الكفاح المسلح. من ريف البندقية إلى رواق البرلمان. ومن هنا إمكانية تعاون كل الناشطين والكادحين في الديمقراطية والعدالة ضد الأنظمة المستبدة والإستعمار. على على مستوى القيادة كما القاعدة, سواء في الخطاب السياسي, "رندوق" الشارع, أو في حديث الأصدقاء فالديمقراطية مطلب جماهيري, ومن أعلام المفردات التي بشكل عام غنيّة

عن تعريف مطول حين يقال مثلا:

- الصادق المهدي "بي عيوبو" لكن زولنا في الديمقراطية[1]

- إحنا عاوزين ديمقراطية ورغيف. عاوزين حكم مدني

ولأجل ذلك تُسمّى في بلادنا الأنظمة المستمدة أنساقها من نموذج البرلمانية الغربية بديمقراطية متسلسلة الترقيم: الديمقراطية الأولى؛ ثم الثانية في أعقاب حكم عسكري؛ ثم الثالثة, وقس على ذلك. فالمنعوت (السلطة), ولا فخر من فخامة النعت, أي الديمقراطية, ولا يفصل إحداهن عن أخرى سوى رقم القيد.

صديقي الذي يهديني عيوبي: صوت الناقد الغربي ضلع أساسي في سوء فهم الديمقراطية
من حيث المفاهيم على مستوى جماهيرنا كما نخبنا, ذكرنا فيما استبق سوء الفهم حول الديمقراطية (متاحية الديمقراطية للآخرين + إعتراف الغرب بديمقراطيات العالم الثالث). لكنا نضيف أن سوء الفهم لا يكتمل إلا بضلع أساسيّ آخر هو صوت الناقد الآتي من الغرب تقييما لمحاولاتنا الديمقراطية! الصوت الذي نتقبله بكل رحابة صدر. من وجهة نظر تبدو عقلانية, النقد الغربي يمثل (الآخر الأفضل) الذي سبقنا بالتجربة, فلا مندوحة عن سماعه حسب هذا المنطق والإستفادة, من نضوج تجربته ونقده البنّاء. عندما يكتب لورد كارَدون Lord Caradon مثلا, مقدّما لكتاب محمد أحمد محجوب, الديمقراطية في الميزان<3>:

> عصر محجوب كان عصر عُسرٍ شهد تحطم أحلامه الوردية على صخور الواقع, وتفرّق بلده في رحى حرب أهلية لا ترحم. وهزيمة حلفائه, وإنتهاء مستقبله في المنفى.
>
> من الصعب بمكان أن يتخيل المرء أن الغيوم السوداء ستنجلي بعيدا, وأن كل رؤى محجوب سيمنحها الزمان شرف الإستحقاق, وأن نوع الديمقراطية الذي يبشر به سيجد القبول والرضا في النهاية.
>
> محمد أحمد محجوب, الديمقراطية في الميزان, ص. 13

لا يستطيع المرأ إلا أن يتفق مع ذلك النقد المتوازن الآتي من أرستقراطي منعّم يحمل لقب كارَدون يهدي محجوبا عيوبه, أو مع عتاب أصدقاء يرسله في كتاب السودان والصراع من أجل البقاء إداري كولونيالي من ويلز بإسم قرايَم ف. توماس Graham F. Thomas يقول فيه <4> بإن صديقه الصادق المهدي متردد ولا يستطيع أن يحسم أموره كسياسي في سدة الحكم (بالعربي الفصيح ضعيف الشخصية). لا يستطيع المرء ألا يتأثر بإنتقاء الخواجة لألفاظه فهو (يا سلام) لا "يردم" اللهم إلا إذا تطلبت الموضوعية ذلك. مثل

---

1. كما كاتبني منذ فترة قصيرة صديق أكاديمي سوداني ذائع الصيت

القسيس جون سبينسر تريمِنقَم John Spencer Trimingham في كتابه الإسلام في السودان <5> وهو يصفع المثقفين السودانيين صفعا بلا هوادة: فهم: " الأغلبية (يحدث لها, م.س) إنفصام شخصية", ص. 258, "الأفندي .. مثقف جبان ... ما يتلقاه من تعليم غربي لا ينتج شخصية نزيهة", ص. 259. نقترح أن كل ما أسلفنا متأثر سلفا برؤية استباقية هي ذات مضلع سوء الفهم حول الديموقراطية. ماذا بوسع المرء أن يقول حين يقرأ نقدا من الفرع الأمريكي لبني أنقلوساكسون, لموظف سابق بالسفارة الأمريكية بالخرطوم وهو يدلي بلقاء توثيقي في خريف العمر لجمعية الدراسات الدبلوماسية قائلا في وصف من قابلهم وعاشرهم من السودانيين<6>:

> **لكنهم لم يستطيعوا أبدا حكم أنفسهم جيدا؛** كتعميم لن يخلو بالطبع من استثناءاته **إنهم ليسوا مدراء جيدين إطلاقا.**
>
> جمعية الدراسات والتدريب الدبلوماسية (ج.د.ت.د), مقابلة مع روبرت أوكلي, 7 يوليو 1992

عند هذه اللحظة بالذات نعطي القارئ إشارة إنذار أن يفيق إن شاء من حبائل سوء الفهم وبحذرٍ ما كان له أن يكون دون تهيئة النص بما سبق.
التعميم في نقد الخواجة أعلاه من قسمين, الفشل في حكم البلاد (طبيعة الحكم والدساتير)؛ والفشل الإداري (قيادة وبنائية ناجحة المؤسسات). سيان الأول أم الثاني, فنقول بإن الحكم على السودانيين بأن كون قدرتهم على حكم أنفسهم دون المستوى والمطلوب ليس بملاحظة عابرة يطلقها مغترب خواجة في ثرثرة داخل حوار (وإن كان حوارا رسميا توثيقيا)؛ أو تأملات من البعد من إداري محترف في الحالة السودانية التي لا تسر أحدا؛ ولا حتى قولبة ظرفية متعجرفة لواقع الرجل الأسود (التمييز يمكن أن يشمل آخرين غير بيض) قد تضخم السلبيات بفوقية تستند إلى تقييم مرحلي للفشل .ولا حتى كل تلك الأشياء مجتمعة.

ما الذي تبقى؟ هل الحكم بفشل الرجل الأسود في السلطة ظرفي (مؤقت) أم أيديولوجي؟
بصدد الفشل في إدارة جسد السلطة, نقول: بل الأمر يمضي إلى حكم مطلق يبلغ الغاية في التحيز والشطط ضد الرجل الأسود .لأن أصل التحيز أيديولوجي (وهنا تكمن الخطورة).
إن سلمنا بأن قضية الحكم والدساتير قديمة قدم الإنسانية, فلنسلّم أيضا بأن فكر السلطة المنتخبة أو الحكومة المنتخبة (من الجماهير) Representative Government
أو الحكم الرشيد Good Governance
أو السلطة الكفؤ Responsible Government
كل ذلك يعد مترادفات لإصطلاح حديث يرتبط مباشرة بفترة تاريخية محددة يمكن تسميتها *الإستعمار الثاني*: ونعرّفه بشيئ من الدقة بالفترة بعد فقدان بريطانيا مستعمرة الولايات المتحدة, ومن هنا السباق لتأسيس مستعمرات جديدة. هذا يضع القارئ في الصورة بشكل جيد, وسأعود لنبش تلك الجزئية لاحقا. إذن أذهب مباشرة في البداية إلى تلسين الخطاب عند ذلك الفكر الإستعماري فيما يخص السلطة المنتخبة. أيها السادة فلتكن جملتنا مفيدة: إن السلطة المنتخبة (ديمقراطيا بالإفتراض) هي كذبة المنبر. أس البلاء وأم المشاكل عندنا.

الطريق إلى جهنم في الديمقراطية البرلمانية: أصل السلطة المنتخبة والنموذج البريطاني

حينما وضع تشارلز بروس كتابه, حجر بناء الإمبراطورية<7>[2] , لم يتردد على الإطلاق في وصف الكثير من الأشياء بأسمائها. فقد كان مثل كثيرين من كتيبة المعهد الملكي للإستعمار The Royal Colonial Institute ممن أسسوا ترسانة الفكر الإمبراطوريّ. الذين خرجوا من تلك العباءة الكولونيالية, لم يجدوا أي حرج في إظهار ما يعتقدون دون تنميق, خيرا أو شرا, حتى وإن كان تحاملا مقيتا يمثل فكراً متحيزا حتى أذنيه. في ذلك المؤلف من مُجَلّدين يستعرض الكاتب التسلسل التاريخي للدستور في وجود سلطة منتخبة:

> ليس من الصعب تتبع تاريخ المرحلة الأخيرة من التطور الدستوري في المستعمرات التي بها سلطة كفؤ (..) قبل 1860م نالت ثمانية مستعمرات سلطة كفؤً؛ أضيفت الرأس في 1872؛ أستراليا الغربية في 1893؛ الترانسْفال ومستعمرة نهر الأورانج في 1906. من هنا فإن دائرة مستعمراتنا ذات الحكم الذاتي self-governed colonies في المناطق المعتدلة قد أكتملت. في 1867 أنشِئت معمّرة كندا[3] بالقانون البريطاني لشمال أمريكا, وفي 1900 كومنولث أستراليا (..)؛ تم توحيد جنوب أفريقيا بقانون 1909.
>
> ولكن بالتوازي مع التحرير التدريجي لمستعمرات الحكم الذاتي من سيطرة مكتب المستعمرات كانت التجربة تثْبت أن مستعمراتنا المدارية لا تحتوي على العناصر الرئيسية للإستقرار للسلطة الكفؤ وأن تلك العناصر لا يمكن لأي آلية سياسية أن تأتي بها.
> تشارلز بروس, حجر بناء الإمبراطورية, ج1, ص. 175

أعلاه يفرّق المؤلف في ذهنه الإستعماري بين فضائين على النقيض من حيث إمكانية حصول الديمقراطية فيهما: معتدل مناخيا (أوربي العنصر كما سنرى لاحقا) قابل للسلطة المنتخبة (ديمقراطيا), ومداري ليس له أمل في سلطة منتخبة. ومن هنا فمنطق المؤلف يستطرد واصفا وظيفة مكتب المستعمرات لمواجهة المهمة الجسورة في الفضاء التعس:

> عليه (مكتب المستعمرات, المترجم) في المقام الأول إعداد مستعمرات التاج Crown colonies ليس بنوع دستور متناغم يمكن أن يمثل جسرا نحو مسؤوليات السلطة الحاكمة لنفسها, ولكن بدساتير يتم تكييفها لمجموعات متباينة القدرات ولا شيئ غير ذلك يجمعها, إذ أنها كما متفق عليه (! المترجم) لا تملك الظروف الضرورية للحكم الذاتي.
> تشارلز بروس, المصدر السابق.

---

2. تشارلز بروس من دهاقنة إداريي الإمبراطورية البريطانية وأحد رواد الفكر الكولونيالي في القرن العشرين.
3. عن المعمّرات dominions, إنظر ص8.

نرى في الإقتباس الأخير عقلية يذهب بها الشطط منتهاه فيتم في الأول تفصيل فهم وقدرات متدنية للآخر (إنابة عنه) على أساس الجغرافيا والمناخ. ثم بعد ذلك يتم إقصاؤه عن رحاب السلطة المنتخبة التي لا قبل له بها, فيمنح شيئا أقل درجة وأحط قدرا, تماما كفتات الموائد. حينها ليس للآخر بد سوى أن يتمثل بشعر المتنبئ وهو يحمل في نفسه من كافور:
أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أناله, فإني أغني منذ حين, وتشربُ. بكلمات أقل, وضع الآخر في فتيل. بيد أن إصطلاح "مستعمرات التاج" لوصف المحرومين من الديمقراطية يستحق الشرح. فلم نذكره سوى عرضا أعلاه. نأخذ من مقدمة الكتاب حيث يقول المؤلف:

> لقد أصبح من المعترف به أن التقسيم المقبول لمكونات الإمبراطورية البريطانية—المملكة المتحدة, المستعمرات والهند—أصبح تعريفا ديناصوريا. تطالب قوانين الجغرافيا السياسية والإقتصادية بتقسيم أكثر علمية وفقا لعوامل التميز الطبيعية بين المناخات المعتدلة والمدارية. تلك القوانين قامت مسبقا بتحديد شرخ سياسي بين مجموعتين من المستعمرات, المستعمرات ذاتية الحكم ومستعمرات التاج. من المحتمل أن هذا الشرخ سيتم التعبير عنه في وقت وجيز حين تستخدم كلمة المستعمرات ذاتية الحكم عوضا عن المعمّرات Dominions
> المقدمة, المصدر السابق , ص. xi (عن المعمّرات, إنظر صدر الصفحة التالية, المترجم)

للقارئ الحصيف أن يرى كلمة (لكن) الملعونة تطل برأسها من كبد معاناة كاتب الأنقلوساكسون في تحديد مصائر البشر. ولذا إستدرك الكاتب وهو يعي تماما أنه في خطر السقوط في فخ مفاهيمي واضح, فقال:

> معاينة الخريطة ستُبين أن منطقة المعمّرات لا تقع بأكملها في المناطق المعتدلة؛ إن جزءً كبيرا من أستراليا مداريّ. تبين الفذلكة الإحصائية الملحقة بهذا العمل أن مستعمرات التاج تشمل أمكنة في مناطق معتدلة ذات أهمية عسكرية وبحرية, مثل جبل طارق, مالطة وقبرص. أو لم تحصل على مؤسسات حكم ذاتي لأسباب أخرى, مثل جزر فوكلاندز. لكن بشكل عام إعطاء الحكم الذاتي مشروط بعوامل التميز الطبيعية بين المناخات المعتدلة والمدارية. في مارس من عام 1905م قدمتُ ورقة في اجتماع للمعهد الملكي للإستعمار بعنوان, مستعمرات وأماكن التاج, مضمِنة في الإصطلاح كل الأجزاء المكونة للإمبراطورية وتقع خارج المملكة المتحدة, مستعمرات الحكم الذاتي, والهند. كان ذلك حسب علمي أول مرة تستخدم فيها تلك العبارة.
> (..) في اجتماع للمعهد الملكي للإستعمار قدّم اللورد ميلنر[4] ورقة بعنوان, الإمبراطوريتان حيث جمع في إحداهما مستعمرات الحكم الذاتي, وفي الأخرى والتي أسماها الإمبراطورية المعولة the dependent Empire الهند ومستعمرات التاج.
> المصدر السابق , ص. xii

---

4. اللورد ميلنر أحد دهاقنة الإمبراطورية إشتهر بإدارته لما عرف بروضة أوكسفورد Oxford Kindergarten إحدى مراكز توسيع وبسط هيمنة المؤسسة الأنقلوأمريكية. إنظر الهامش رقم خمسة.

في نهاية شرحنا لإصطلاح مستعمرات التاج Crown colonies, والذي بدوره جرّ إصطلاحا في الجانب الآخر وهو المعمّرات Dominions نقتبس ما يلي:

> أخِذَت خطوة مسبقا في ذلك الإتجاه عن طريق إنشاء فرع منفصل للمؤسسة[5] داخل مكتب المستعمرات يسمى بقسم المعمّرات لتسيير أمور مستعمرات الحكم الذاتي.
> المصدر السابق, ص. xvi

جغرافيا الفصل العنصري: تمييز ارتباط مستعمراتٍ وأخرى بالإمبراطورية

> فيما سيلي من فصول قمت بمناقشة توسيع قواعد سياستنا الوطنية في سياستنا الإستعمارية والإمبريالية, حيث وجدت أثرها في فصل bifurcation الطرق المؤدية إلى المناطق المعتدلة والمدارية على الترتيب. أدى الفصل إلى مواقف محددة بعناية. في المناطق المعتدلة, كما رأينا فإن إتّباع مستعمرات الحكم الذاتي بالإمبراطورية مشروط بتحررهن كاملا من سيطرة برلمان المملكة المتحدة. في المناطق المدارية فإن إتّباع مستعمرات التاج بالإمبراطورية مشروط باستمرارية تلك السيطرة لأن وجودهن نفسه يعتمد على كفاءة تلك السيطرة. تم تحديد ذلك الفصل تبعا للمميزات الطبيعية بين المناطق المعتدلة والمدارية وفقا لمواردهن الطبيعية وخصائص سكانهن. تلك المميزات تحمل تنوعا لانهائيا, لكنه محكومٌ بـالقانون العام القائل بإن أكثر الظروف موائمة للتنمية في المناطق المعتدلة وجدت في الأعراق البيضاء, **بينما لا توجد أكثر الظروف موائمة لكفاءة العمل الجسماني في المناطق المدارية إلا في الأعراق الملونة** (التشديد للمترجم). من ناحية أخرى التجربة تعلمنا أن التنمية المربحة للموارد في المناطق المدارية بحيث وإلى الحد الذي يمكنها تحقيق الدخل الضروري لدعم السلطة الكفؤ أبعد من أنوف الطبقات ذات الأصول الأفريقية والآسيوية والتي تمثل العمالة السكانية في مستعمراتنا المدارية. إن وجود تلك المستعمرات كمجموعات (لم يقل مجتمعات societies, المترجم) متحضرة يعتمد على رأس المال والعلم ذوي الأصل الأوربي.
> المصدر السابق, ص. xxvi

من الملفت للنظر أن هذا الخطاب العنصري آت من ذات الإمبراطورية التي ملأت الدنيا صياحا وضجيجا قبلها بعشرات السنين مطالبة بتحرير الرقيق من العبودية. هذه الإزدواجية الإمبريالية بين احتكار المنصة الأخلاقية لتحرير الآخر, وفرض الوصاية عليه في ذات الوقت ملفتة لدرجة قف تأمل.

5. ربما المقصود بالمؤسسة هو مؤسسة الأنقلوساكسونس The Anglo-Saxon Establishment. في هذا الإطار, إنظر كتاب The Anglo-American Establishment للأكاديمي الأمريكي كارول كويقلي <8> . نلفت عناية القارئ أن مقدمة الكتاب الأخير غير مقنعة في نظرنا (مزعمة أن الكاتب لا يتفق مع أبطال القصة في الأساليب, ولكنه يوافقهم في الأهداف (هيمنة الأنقلوساكسنس على الكون), وهو شيئ مجاف للمنطق تماما.

اللعنة الأبدية: الحرمان بالميلاد من قيم المساواة الإجتماعية

بعد إثباتنا لإفتقاد سكان البلدان المدارية حسب الذهنية الكولونيالية لعناصر إستقرار السلطة الكفؤ (المنتخبة), بروس يبدو وكأنه يبتّ في تأملات دلكه الحالمة عن أي الثلاثة أحق بوصف الأفضل: الأبيض, الصيني أم الزنجي (الإفتتاح, ص. 2), شارحا معايير عناصرها حسب الذهنية ذاتها:

> دعني في هذه المساحة أحدد في اقتضاب ما أؤمن بأنه العناصر الأساسية لإستقرار السلطة الكفؤ. الحقيقة المتمثلة في أن كل مستعمراتنا التي بها حكومات من هذا النوع واقعة في مناطق معتدلة ليس صدفة أبدا. لقد أصبح هناك اعتقاد متفق عليه بشكل عام أن العناصر الرئيسية الضرورية لأداء مستقر للسلطة الكفؤ في مستعمراتنا ومعتمدياتنا يشح وجودها في المناطق المدارية ولا يمكن لأي آلية سياسية أن تأتي بها. **<u>إن إستحقاق السلطة الكفؤ في مستعمرة بعينها يعتمد على مقدرة السكان ذوي الأصل الأوربي على إنشاء مستعمرة دائمة مستقرة ومتجانسة في مناخ مؤائم لنموها تحت ظروف محسوسة, أخلاقية وسياسية مشابهة للتي صنعت الإنسان الأوربي</u>** (التشديد للمترجم). تلك الظروف توجد فقط في المناطق المعتدلة. في المناطق المدارية توجد أسباب فسيولوجية وغيرها (**!**المترجم) تعمل عبر العصور لإنتاج أعراق تستطيع تحمّل مشاق العمل الجسماني المرهق الذي يستحيل على الرجل الأبيض إحتماله. كما ليس بالإمكان جعل نسل الأوروبيين قادرا على تحمّل هذا النوع من المشقة مهما يطل سكنهم أو يكون تأقلمهم. إن تبلور تلك الفروقات العرقية يجعلها على النقيض من الأساس الأخلاقي للمساواة الإجتماعية (**!!** المترجم) التي ترتكز عليها الحكومة الكفؤ.
> المصدر السابق, ص. 229.

نظرة علمية أم جمود العقل وشيطنة الإستغلال؟ بوصلة التحيز التي تتبدل في لمحة عين

المحك أن الذهنية الأنقلوساكسونية لا تكتفي برسم حدود "الآخر", بل تنفيه بعد ذلك خارج ذات الجغرافيا المفروضة عليه. السجن الجغرافي يتبعه المنفى الأخلاقي والحرمان الأدبي من حقوقه بقيود أخرى. ديلكه يتأمل المناخ كفرضية لتفوق مشروط للآخر كجنس يعتبره رخيصا وبائسا. ويفتي بروس بعده أن أيّ تفوق مثل ذلك جسمانيٌّ وحسب لا يرقى لأيّة مفاضلة أخرى. منذ الميلاد يجد البائس نفسه ملاحقا باللعنات: كآبق منسيّ يتوجس رعبا حتى يؤمر فيطيع. لا يعطَى نقير إنسانية في نظر المانحين صكوك السلطة الكفؤ. أخلاقيا يرمى بالجبن, الكبت الجنسي, الغباء والهمجية. وأدبيا وإن حرره القانون يظل ملعونا في العهد القديم بسبب لونه, ومحتقرا في الآداب الكولونيالية بسبب بدائيته ولونه معا. وليت اللعنات ثابتة حتى يتسنى له على الأقل فهمها. بل إنها تتقلب, وأحيانا تتناقض. فوصمة الجبن قد تتبدل بين يوم وليلة حين يكون جنديا مخلصا من جنود الإمبراطورية؛ حين انهزم جيش المستعمر في موقعة شيكان, وُصف المصري بالجبن (رغم أن قائده هكس Hicks كان بريطانيا). بينما ذات المصري يكيل له تشرشل المديح لشجاعته وانضباطه لأن قائده الإنجليزي لم يدخر وسعا في تدريبه فانتصر الجيش على المهدية في كرري. لك أن تتأمّل الحكمة القائلة, تجلس للإمتحان مع ورقة الحل, أو كقول الإنجليز, to have one’s cake

and eat it. وتهمة الكبت الجنسي التي يُرمى بها بسبب ثقافة متخلفة تقيّده بالمحرّمات فيعزف مرعوبا عن زنا المحارم مثلا في نظر فرويد[6], قد تستحيل إلى شهوانية بهيمية بسبب فطرته وغرائزه الحيوانية وضخامة أعضائه\ها التناسلية. حين يكتب الرحالة الأنقلوساكسون روتينيا عن "أعضاء السكان الجنسية الضخمة" the natives' enormous pudenda لا يبدو التحيز دالة وحسب في مزاج المتحيز؛ بل *إنتهازية منقطعة النظير*. إن إدعاء العلمية والموضوعية شيئ, وممارستها شيئ آخر. هل ادعاء الإداري, السياسي والإختصاصي الأنقلوساكسوني للعلمية مجرد ورقة توت يداري بها سوءة جموده الفكري؟ لعلنا هنا بصدد ذهنية رغم شيطنتها فهي في حقيقتها أكثر انغلاقا من عقليات إقطاعيّي العصور الوسطى. وأجهل من فكر أحفادهم من براجزة أوربا الذين اعتقدوا حتى القرن العشرين أن الإستحمام يجلب المرض ففضلوا الإحتفاظ بالجلد في كامل اتساخه[7]. عند كل منعطف, في كل موقف يقبل العقلانية نجد أن "التحليل" الكولونيالي يرفع أسهمه إلى السماء ويبخس ما عند الآخرين. ينتصر لنفسه, اللهم إلا أن يكون الحق معه فيأتي إليه مذعنا. هناك واقعة شهيرة في نهاية تسعينات القرن المنصرم لطالب لجوء سوداني في إنجلترا إسمه تجاني الوليّ (إسمه الحقيقي). في بدء انترفيو اللجوء قالت له ضابطة الهجرة باستعلاء, لا تحاول أن تكذب فإنني على علم بكل ما يجري في بلدك. بهدوء رد تجاني, كنت أعتقد أن الإنجليز شعب متحضر: I thought that the English people were civilised. رأى تجاني الدموع في عينيّ الضابطة, فقالت له, هل تقصد أنني لست متحضرة مثل بقية الشعب الإنجليزي؟ You mean, I am not civilised like the rest of the English people?! ثم صرخت في وجهه وهي تغادر غرفة الإنترفيو, سيتم إعتقالك**!** You will be detained! وذكر تجاني أن ضابطة الهجرة المتحضرة كررت تهديدها باعتقاله ثلاث مرات, وقد كان. كاتبني تجاني من سجن روشستر بمقاطعة كنت Kent, "زارني وفد من منظمة غير حكومية ونصحوني بتغيير أقوالي عن مشكلتي مع ضابطة الهجرة. عموما أنا سعيد وأنتظر قرار الترحيل". وقد كان أيضا (الملحق 1). ما يبقى لنا أيها السادة من عِلمية الأنقلوساكسون سوى مقدرتهم على فرض الرأي على الآخر بالقوة؟ وبذلك المنطق لا عجب حين يتم إطلاع الآخر بأنه ليس سوى عمالة رخيصة في هذا العالم الكبير الذي أعدت الأرباب عرق الأنقلوساكسون لقيادته. إقتباس:

---

6. 'the Savage's dread of incest' إنظر الترجمة الإنجليزية لكتاب الطوطم والتابو لـ فرويد. رأيُنا أن فرويد في بنائه لزنا المحارم كتابو إجتماعي يتستر وراء التحليل النفسي. لكنه يخفي وراء ذلك أشياء كبرى, وتلك حجية أخرى.
7. إنظر كتاب إعترافات برجوازي (الأصل كتب بالمجرية ونسختي إيطالية). لأن هذا الكتاب يكشف جزءً محرجا من واقع الحال في أوربا ويعكس صورة سلبية صادمة غير شائعة إطلاقا عن بعض المجتمعات الغربية فلم توجد له ترجمة إنجليزية حتى اليوم.

إن الأنقلوساكسونس أغلى بكثير من أن يتم استعمالهم كبحارة عاديين, إن تـوفـّر هنودٌ يمكنهم عمل ذات الدور بدرجة لا بأس بها أو ماوْريّون بوسعهم أداء مثله جيدا. يبدو أن الطبيعة تشاء أن تجعل من الإنجليز عرق الضباط, لقيادة وإرشاد العمالة الرخيصة من شعوب المشرق.
تشارلز وِنتـْوَث ديلكه, بريطانيا العظمى: أسفار رحلة في دول لغتها الإنجليزية, 1869 <2>

ليس هناك لبس في الأمر. فكما يجوع الفقير من تخمة غني, يُحرم "الآخر" من استحقاق السلطة الكفؤ والتحضر لتغوّل الأقوى منه على الإثنين, مسؤولية الحكم وتعريف التحضر.

من التحيز إلى الظلامية: عبئ الرجل الأبيض

في شجون الديمقراطية والثورة من أجل الحرية نكباتٌ ومحن لا تـُدرك في بلادنا إلا بعد فوات الأوان. في سفر بحثنا هذا ظاهرةٌ (عدوّ) تستحق الوقوف. فهي بمثابة رأس الرمح المصوب نحو صدر الطامح للخلاص. ومنطقة معتمة يُمَرّ عليها مرور الكرام في عمق جغرافيا التمييز التي قدمنا لها. لكيلا يدركنا الفشل مرة تلو المرة في النهايات المألوفة, وجب على الباحث تعيين الخطر وتسليط الضوء على موقع خنجر في الظلام يمكنه أن يصيب الثوار الشرفاء وثورتهم في مقتل. وما من مفردة أكثر تعبيرا من كلمة "ظلامية" لوصف تربص عميق الغور في ذهنية التحيز عند ضباط الأنقلوساكسون المصطفين دون بقية خلق الله أجمعين. تـُعرف تلك الظلامية بعبئ الرجل الأبيض:

هنالك أملاكٌ شاسعة تعج بسكان يتسنى بالكاد معرفتهم أو فهمهم, تنضمُّ إصطلاحا تحت مسمى مستعمرات التاج. إن أردنا حفظ كما تقدم إمبراطوريتنا بشكل كامل, يجب علينا أن نضع بعين الإعتبار إذا ما في مستعمرات ومناطق التاج تلك, حيث نحن ولا أحد غيرنا يمثل للسكان الأصليين أملا في حياة بالكاد تكفي, نقوم بما يجب علينا القيام به. هناك من يميلون للإعتقاد— وأقول هذا بكل ما يتوجب من إحترام—أن تطويرهم لكندا أو أستراليا هو كامل ما يُتوقع من المواطنين البريطانيين عمله. بيد أن هناك أيضا عبئ الرجل الأبيض. ذلك العبئ الكبير في حكم إخوتنا المواطنين الملونين. ذلك العبئ الذي يزداد سنة تلو سنة ويوما بعد يوم, والذي يتطلب منا أكبر وأكبر من المشاق. تلك جزئية يجب ألا تنسى على الإطلاق.
تشارلز بروس, مصدر سبق ذكره, ص. xvii

ما الذي يمكن أن يفهم مما سبق؟ هل أولئك المعذبون في الأرض بألوان جلودهم البائسة مجردُ عبئ إضافي يؤرق نوم الأنقلوساكسوني فيُقسم ألا ينسى المسؤولية الملقاة على كاهله في إبقاء هؤلاء أحياءً, حتى ولو فوق خط الفقر وبشق الأنفس؟ لتفكيك المضمون نقتبس من كولونيالي آخر هو إتش دجي ويلز H. G. Wells <9> (وجدتُ ترجمة النص مجهدة: جمل ممطوطة لدرجة تشتيت المعنى, وأحيانا تعمّد اللبس فيه من الكاتب):

لن تقشعر أبدان رجال الجمهورية الجديدة سواء في مواجهة أو إلحاق الموت (..) سيكون لديهم مثالية ستجعل من القتل شيئا مستحقا؛ مثل إبراهيم سيكون لديهم الإيمان بالقتل ولن يحملوا أي مواريث دجلية عن الموت. من الطبيعي أن يعتبروا الإنتحار المتواضع للأشخاص الذين لا علاج لوحدتهم, بؤسهم أو مرضهم واجبا بدل كونه جريمة. وطالما أنهم سيعتبرون, مثلما يعتبر كل الذين ارتفعوا فوق مرتبة الفظاظة أن سجنا طويلا جدا أسوء من الموت بمراحل, بل موتا

ببؤس يُحيا مضافا إلى رعبه الطبيعي. (أقول, المترجم) فسوف يقومون, كما أتخيل, حيث مجموع أفعال الرجل, وليس محض عمل تدفع به الغريزة أو الصدفة هو ما يبدو ما يفقده صلاحيته لحياة حرة في الدنيا, (سيقومون, المترجم) بالنظر للرجل جيدا, ثم إدانته ثم إزاحته عن عالم الأحياء. كل ذلك النوع من القتل سيتم تنفيذه بمخدر. لأن الموت أمر من الجلل بمكان بحيث يُتخلى عن جعله مؤلما أو رهيبا ويستخدم كرادع ضد الجريمة.
هـ. ج. ويلز, توقعات ردود أفعال التقدم الميكانيكي والعلمي على حياة الإنسان وفكره, 1902, الطبعة الرابعة, ص. 300.

ويقول هذا الرجل أيضا (ما بين الأقواس حذفُ المترجم لغير المهم أو إضافة قصدا للدقة):

القِيم الجديدة ستعتبر الحياة مزية ومسؤولية, وليس من شاكلة وكر ليلي يأوي النفوس الحقيرة من الضياع: وسيكون الموت البديل عن عيش الحياة كاملة بجمال وكفاءة. وفي وجود زخم من المخلوقات السخيفة المثيرة للإحتقار, ممتلئة رعبا, مسكينة ولا فائدة منها, شقية, أو سعيدة بحقدها في كيان تافه, هزيلة, قبيحة, مفتقدة للكفاءة, تم إنجابها من شهوانية منفلتة, وتتناسلُ متكاثرة بسبب الغباء وفقدان الإرادة, فلن يحمل رجال الجمهورية الجديدة شفقة أو عطفا. إن تسهيل الحياة لتناسل بشر مثل هؤلاء لن يبدو لهم أكثر الأشياء في العالم نبلا وأريحية, كما هو معتقد به حاليا, بل سيكون تطورا ملعونا في أقصى درجاته (..) سيعتقدون, كما أتوقع, لاعتبارات الشفقة والصبر أن جزءً من السكان (..) وجوده فقط معاناة بشق الأنفس, ومشروطة (في فهم رجال الجمهورية الجديدة, المترجم) بألا يتكاثر هؤلاء؛ وإنني لا أستطيع أن أتصوّر أيّ سبب لإفتراض أنهم سيترددون في القتل إن أنتـُهِكت تلك المعاناة.
هـ. ج ويلز, المصدر السابق, ص. 299-300

لأهمية الإقتباس أعلاه, فسأورد النص الإنجليزي الذي أخذت منه, ثم تعليقي بالإنجليزية:

'The new ethics will hold life to be a privilege and a responsibility, not a sort of night refuge for base spirits out of the void: and the alternative between living fully, beautifully and efficiently will be to die. For a multitude of contemptible and silly creatures, fear-driven and helpless and useless, unhappy or hatefully happy in the midst of squalid dishonour, feeble, ugly, inefficient, born of unrestrained lusts, and increasing and multiplying through sheer incontinence and stupidity, the men of the New Republic will have little pity and less benevolence. To make life convenient for the breeding of such people will seem to them not the most virtuous and amiable thing in the world, as it is held to be now, but an exceedingly abominable proceeding. (..) They will hold, I anticipate, that a certain portion of the population (..) exists only on sufferance, out of pity and patience, and on the understanding that they do not propagate ; and I do not foresee any reason to suppose that they will hesitate to kill when that sufferance is abused'.
H.G. Wells, Anticipations of the reaction of mechanical and scientific progress upon human life and thought, 4th ed, Chapman & Hall, London pp.299-300.

NOW WE UNDERSTAND WHAT THE BURDEN OF THE WHITE ANGLOSAXON MAN MEANS. Out of pity and patience he lets the 'cursed' ones live in *sufferance*, on condition they don't overbreed, and this sufferance (his *burden*) is not abused, further amplifying that burden. Such development may and will result in death (killing) of the wretched of the earth.

الآن نستطيع أن نفهم جيدا معنى عبئ الرجل الأبيض الأنقلوساكسوني. لإعتبارات الرثاء سيتَرك البؤساء في معاناتاهم (التي هي عبئه المرهق), بشرط ألا يتناسلوا كالأرانب, وألا يمعنوا في معاناتهم ومن ثم توسيع العبئ أكثر مما يطاق. لأن تطورا مثل هذا سيؤدي إلى موت (مقتل) المعذبين في الأرض. قد يحتج قارئ أننا ربما (؟) ذهبنا بعيدا وأننا نسقط شيطنات أنبياء الإمبراطورية مثل إتش دجي ويلز ورؤاهم لمستقبل مضطرب للإنسانية على فكر إداريي الإمبراطورية كبيروقراطية إنغلاقية قد تجنح بالتأكيد لإستبعاد الآخر, لكن دون التلويح بالضرورة بخيار قتله. الحقيقة أن الفضائين وجهان لعملة واحدة: من الإقصاء في جغرافيا تمييز الإمبراطورية حاضرا, إلى الإفناء في جمهورية الإمبراطورية الجديدة مستقبلا. عموما سنحاول معالجة ما يبدو أنه جدل هنا (لمن يتحجج) بإقتباس أخير يحسم الأمر من ديلكه (مرة أخرى), عضو بالبرلمان البريطاني وأحد مفكري الإمبراطورية:

> في نهاية المطاف, إذا كان الهندي عقليا, أخلاقيا, وجسديا أدنى من الرجل الأبيض, فإن من حسن حظ العالم من كل ناحية أن يكون الجيل المقبل الذي يقطن كولورادو مكوّنا من رجال بيض بدل رجالٍ حمر. إن تحقق هذه النتيجة دون قسوة أو غش في حق الهنود الموجودين حاليا (وبصرف النظر عن أؤلئك الذين أبيدوا قبل ذلك عبر مختلف أنواع القسوة والغش, المترجم) هي كل ما نحتاج أن يكون مطلوبا. **الإنقراض بالتدريج للأجناس الدنيا ليس قانونا في الطبيعة وحسب, بل مباركة للجنس البشري** (التشديد من المترجم).
>
> ديلكه, ص. 109 مصدر سبق ذكره

هناك نتيجتان لبحثنا هذا: أدبيا وسياسيا (في العلاقات الدولية), فعلى المدى المتوسط سيحرم الرجل غير الأبيض من فاكهة الرجل الأبيض: سيحرم من السلطة المنتخبة, السلطة الكفؤ أوالحكم الرشيد لأسباب جغرافية بالميلاد لا حيلة للأول فيها. أما النتيجة النهائية فهي موت دنيا الرجل غير الأبيض. موته في الماضي لأسباب منتهية سيعدها التاريخ مجرد تفاصيل. وموته مستقبلا بِأسلوب لطيف—موت إكلينيكي "علمي" من بنات أفكار إيتش دجي ويلز يريح المعذب من العذاب.

ما بعد الحقيقة والبعد المفقود: بين الديمقراطية والسلطة المنتخبة

يمكن القول إن باب الإجتهاد فيما يخص نزاهة وموضوعية الطرح الإمبراطوري بنزع استحقاقية السلطة المنتخبة عن جغرافيات بعينها مقفول (قد تبين الرشد من الغيّ), بصرف النظر عن مطمح السكان في تلك الجغرافيات المحكوم عليها بالإقصاء, ورغبتهم في أكل الفاكهة المحرمة. الأهم هو تفكيك سوء الفهم الذي أدى في بلداننا ولا يزال إلى نتائج كارثية. بيد أن هناك بعدا مفقودا تسلل من غربال البحث مجسدا قول الشاعر, نامت نواطير مصر عن ثعالبها, فقد بشمن وما تفنى العناقيد. المفقود, والسؤال الذي نحييه من بعد موت هو, ما هي مشروعية مطلب السلطة المنتخبة؟ وهل هناك (أيّ) فرق يستحق الذكر بين السلطة الديمقراطية والسلطة المنتخبة؟

للإجابة على السؤال, نورد إقتباسا:

“and those who wish to adapt all the principles of democratic government to a representative government are either imbeciles who disrupt without knowing it, or rogues who knowingly disrupt in the hope of not losing the fruits of anarchy.”
Archives Parlementaires de 1787 à 1860, Volume 57: du 12 janvier 1793 au 28 janvier, 1793 (Paris: Librairie administrative de P. Dupont, 1862-1913), 316, in Katlyn Marie Carter, ‘The Invention of Representative Democracy’, Age of Revolution, Jul 2018

ومعه الترجمة:

لا توجد ديمقراطية بالتمثيل الوطني national representation, وأولئك الراغبون في تكييف كل قواعد السلطة الديمقراطية لسلطة منتخبة إما جهلة يودون المناكفة بغير علم أو أوغاد يناكفون بعلم على أمل ألا يفقدوا ثمار الفوضوية anarchy.
أرشيف البرلمان الفرنسي للأعوام 1787-1860, المجلد 57: من 12 يناير 1793 إلى 28 يناير 1793, باريس, ذكرته كاتلين ميري كارتر, إختراع ديمقراطية الإنتخاب <10>

صاحب الإقتباس كان نائب باريس عن زمرة اليعاقبة (أو اليعقوبيين Jacobins), بي-يير-فرانسواه-جوزيف روبيغ Pierre-Francois-Joseph-Robert حيث "أدلى بزعمه في بداية عام 1793 على خلفية النقاش حول مسألة عقد المؤتمر الوطني National Convention إستفتاء شعبيا على الحكم على الملك لويس السادس عشر[8]" <10>. ورقة السيدة كاتلين كارتر التي نقتبس منها في جزء بحثنا هذا تعتبر صدمة حقيقية. فهي تكشف عن زخم من المتناقضات والقضايا المثيرة للجدل لدرجة إستنطاق وإعادة التنقيب فيما كان يعتبر مفروغا منه. كارتر ترى ضمن ما ترى أن هناك من قام بـ "إعادة تعريف الديمقراطية" في تسعينات القرن الثامن عشر ليحمّلها معنى "مثّل شكلا منفصلا يختص بالحكومة المنتخبة[9] representative government" المصدر السابق. مسألة إعادة التعريف المثيرة جدا للجدل وشهية الباحثين, أرجعتها كارتر لشخصيات مختلفة بما يشمل أمريكية (بعد استقلال الولايات المتحدة), فرنسية وبريطانية. المثير للإهتمام على حد تعبير كارتر أن "مزْج التعاريف الذي حدث في اللغتين الإنجليزية والفرنسية في أوقات متقاربة":

أضحى منذئذ مؤصلا إلى حد أننا نفشل اليوم في إدراك أن ‘السلطة المنتخبة’ إختراع يمكن إرجاعه إلى توقيت تاريخ محدد. لكن نوع صراحة كلمات ما أدلى به روبيغ تذكرنا بلامعقولية خروج هذا الإصطلاح المنفرد ويحثنا على أن نراجع ما وصفه بالمَه[10] بديمقراطية عصر الثورات بعيونَ جديدة. أثناء تبلور المسار تم طمس حدود التفريق بين الأشياء عن عمد, مما سبب إضطرابات إلى يومنا هذا.
كارتر, المصدر السابق

---

8. بعد خلع لويس السادس عشر وإعلان الجمهورية بعد ثلاثة أعوام (1792) مما يسمى بالثورة الفرنسية (1789) ثم البت في مصيره, الذي إنتهى بالإعدام في يناير 1793, المترجم.
9. أو السلطة المنتخبة كما في بحثنا هذا.
10. ر. ر. بالمه, عصر الثورات الديمقراطية: تاريخ سياسي لأوربا وأمريكا من 1760-1800, (جزآن), ص. 66-67 <11>

ماهي حقيقة السلطة المنتخبة؟ الشيطان يكمن في التفاصيل (1)

في السياق البريطاني نذكر ما أوردناه مسبقا وإن كان بصورة عارضة عن المرحلة الأخيرة من التطور الدستوري في الحكومة المنتخبة كما وثق له تشارلز بروس <7>.
بعد سلسلة من الملاحاة والتحورات السياسية المتدرجة, كما ردود الفعل العنيفة والنقلات الفاشلة ننفذ مع بروس إلى "المرحلة الأخيرة", ألا وهي خضوع الجهاز التنفيذي للجهاز التشريعي كأعلى مراحل السلطة الكفؤ (بروس, ص.175 , سبق ذكره). بشيئ أكثر من التفصيل, التنفيذي سبق التشريعي في المستعمرات المعتبرة مستحقة لسلطة كفؤ حسب اعتبارات الأنقلوساكسون, سواء الجديدة (كأستراليا ونيوزيلندة) أو الأقدم ككندا, والتي أريد منعهن جميعا من الإنفصال عن الإمبراطورية كما فعلت الولايات المتحدة. التشريعي كان مجلسا واحدا, خلافا للبرلمان "الأم" (الإمبريالي) الذي كان من شقين, سفلي للعموم, وأعلى للوردات. بيد أن المشكل في الترتيب, مع التسليم بتحيزه الصارخ على أساس واه كالجغرافيا, العرق, أو اللغة له أكثر من بُعد:
أولا, في السياق البريطاني حتى لو أقتصر التناول على العلاقة بين التنفيذي والتشريعي (دون الأخذ مؤقتا—لحصر الحديث— بضلع ثالث, أي السلطة القضائية بالإعتبار), فهناك مشكلة جوهرية هي مشكلة الإطار الدستوري بشكله الكامل في المملكة المتحدة. لنقرأ هذا النص من بروس من ص.100 <7> :

> إذا قدّر لصاحب السيادة the Sovereign في هذا البلد أن يختار أولئك الذين حصلوا على ثقة التاج, لكنهم لم يحصلوا على أيّ من ثقة مجلس العموم (البرلمان الأدنى, المترجم), يجب أن يحدث تغيير وشيك في الحكومة, والدستور يمكنه أن يمضي فقط تبعا لهذا التغيير.

البرلمان مفهوم, صاحب السيادة معروف وهو الملك أو الملكة. أما الذي حصلوا على ثقة التاج وليس البرلمان فهم رئيس الوزراء والحكومة (المنتخبة). *لكن ماذا عن التاج؟!* من فورنا نعلن فرضية التعرف على مشكلة آنية, ونصوغها كالتالي: السلطة المنتخبة حتى بفصل سلطاتها تمثل فقط الجزء الظاهر من السلطة في الإطار الدستوري الذي "التاج" جزء آخر لا يتجزء منه. نترك سؤالنا جانبا مؤقتا, ونطرح البعد الثاني:
البعد الثاني المثير للإهتمام: ليس من الضرورة لرئيس الوزراء, وهو رئيس الظاهر من السلطة (المنتخبة), أو أيّ من وزراء حكومته الجديدة أن يحصلوا على انتخاب مسبق من الجماهير (خوض السباق الإنتخابي مرة أخرى واستعادة مقاعدهم الإنتخابية كنواب برلمان) إن اهتزت الحكومة السابقة لأي سبب كان ينتج عنه تغيير رئيس الوزراء من قبله. بل يكفي (بعد إختيار صاحب\ة السيادة لهم) الحصول على ثقة التاج لتشكيل حكومة برئيس جديد! منطقيا, يمكن بهذه الشاكلة أن يتغير رئيس وزراء الحكومة المنتخبة أكثر من مرة خلال الدورة الإنتخابية, فيأتي من يعقبه دون حوجة لعملية إنتخابية جديدة فيصبح رئيس الحكومة الجديدة. إن هناك جنّيا مزعجا يكمن في هذه الترتيب. ما سبق يشير إلى

نتيجة متوسطية: في الإطار الدستوري للحكم في بريطانيا فالسلطة المنتخبة (إفتراضا) تحتاج الحصول على ثقة التاج إما لأخذ شرعية تشكلّها كسلطة جديدة دون العملية الإنتخابية, أو **لاستكمال** شرعيتها الإنتخابية بعد انتخابها من الجماهير (بشكل أدق انتخاب نواب البرلمان الذين ستتكوّن الحكومة المنتخبة من عدد منهم). بكلمات أقل, الحكومة ممثلة في رئيسها قد, وقد لا تحتاج الشرعية الإنتخابية وقت تغيير رئيسها, لكنها محكومة بنيل ثقة التاج في كل الحالات. أما النتيجة النهائية حسب فرضيتنا التي سنحشد لها الأدلة فيما بعد, فهي أن السلطة المنتخبة بمجموع سلطاتها المفصولة الثلاث (برلمان تشريعي, جهاز تنفيذي على رأسه رئيس الوزراء, كما جهاز قضائي) لا تمثل كل السلطة! بل هي تمثل الجزء الظاهر (الوجه المعلن) من السلطة وحسب!

نقطة فنية قبل أن ننفذ إلى البعد الثالث: دور صاحب\ة السيادة في اختيار رئيس وزراء ينال ثقة التاج؛ فالتقليد الدستوري يوضح أنه دور رمزي في نيل الحكومة شرعيتها الكاملة (مثل أدوار رمزية وتشريفية أخرى كما يسمى بالموافقة الملكية .Royal assent على التشريع)؛ خلافا لدور التاج الذي لا تكتمل شرعيتها إلا بنيل ثقته. الآن, عن البعد الثالث, فهو مرتبط بشكل مباشر بسؤالنا عن ماهية التاج, وعلى ضوء ما تقدم بدور التاج كجزء لا تكتمل السلطة إلا به, رغم أنه غير معلن (للجماهير). مثلا, إذا كان التاج يمثل سلطة رابعة مستقلة عن السلطة المنتخبة وليس العكس, فعلى أيّ أساس يمكن لسلطة غير منتخبة على ما يبدو ممثلة في التاج التأثير على سلطة منتخبة تحتاج ثقته في كل الحالات؟ سنقدم إجابة للسؤالين في نهاية البحث, وهذا طبعا يحتاج بتا شافيا في الفرق بين التاج وصاحب السيادة.

لعبة تأويل النص في اللغة الإنجليزية: الشيطان يكمن في التفاصيل (2)

من أشهر المدارس الفكرية الخارجة من إنجلترا المدرسة البراغماتية Pragmatism. كطريقة حياة في المقام الأول أثر البراقماتية واضح وجلي. وإن أردنا ركوب هذا القطار, فيمكننا القول إنا في بريطانيا نعتز ببراقماتيتنا, ونرى أننا نُظهر مرونة وعملية أكثر من غيرنا في عمل وتطويع الأشياء. سواء كأسلوب حياة كما في القوانين نترك شيئا للواقع والخيال والضرورات. كرومر في كتابه مصر الحديثة <12>, ص.237-38 يحتفظ بعقله كامل البرودة في مدح قوانين الإدارة الإنجليزية حين يعمل مقارنة مع نظائرها الفرنسية:

> إنظر مجددا إلى التنظير الفرنسي الذي يبلغ الكمال في النظم الإدارية, إلى مدى الدقة فيها, وإلى اللوائح التي تبدو معمولة لمجابهة أي طارئ قد يقع. قارن تلك الخصائص بالنظم العملية للرجل الإنجليزي التي تسن القواعد لعدد محدد من النقاط العريضة, وتترك زخما من التفاصيل لما يناسب المرء. طبعا يفضل المصريّ نصف المتعلم النظام الفرنسي, لأنه من الخارج يبدو كاملا وأسهل تطبيقا. لكنه بعد ذلك يفشل في رؤية أن الرجل الإنجليزي يشتهي أن يفصّل نظاما يمكنه أن يناسب الحقائق التي سيتعامل معها, بينما الإعتراض الرئيسي على تطبيق أساليب إدارية فرنسية في مصر أن تتكيّف الحقائق في الغالب مع نظام معمول مسبقا (التشديد للمترجم).

لو كان هناك دليل مادي على الثغرة الكبرى في الطريقة الإنجليزية فقد أتى به كرومر! لعله لم يدرك أن ما قاله يعد هدفا للاعب في مرماه. إن النظم العملية المحتوية مرونة على الطريقة الإنجليزية وتستطيع التكيف مع الطوارئ بالتأكيد جيدة, بل ممتازة. بيد أن المحك هو, في أيّ مجال؟ في الهندسة مثلا يجب أن تكون أنظمة السلامة والأمان قادرة على التكيف مع مختلف أنواع الطوارئ والمستجدات. لكن في الإدارة والقانون؟ السيناريو الكابوسي هو إتفاقية في العلاقات الدولية على الطريقة الإنجليزية حيث يكون بها ثغرات أكثر من ثقوب الغربال. هل الوضوح والصرامة في القانون بحيث تجبر بِنْيته الحقائق أن تأتي إليه مذعنة أفضل, ولدرجة الإتيان بـ, أو التنبؤ بكل الإجابات الصحيحة كل مرة (يقال في الدارجة السودانية, " الود حافظها")؟ أم إتفاقية "عملية" متروكة للتأويل في مواضع حرجة؟! لماذا يختلف الناس على العقود؟ أوليس بسبب الثغرات اللائي لم يفطن إليهن إجماع الأطراف قبل التوقيع عليها؟ لا أستطيع ضمان رأي القارئ, لكنني في جزئية القوانين تحديدا, فسأكون مستعدا للقفز مع الخيار الفرنسي مغمض العينين لو دعا الأمر. إذا كان المنطق عن فعالية السلطة الإنتخابية الأنقلوساكسونية فأركانها بالتأكيد تشمل الصياغة القانونية والإطار الدستوري للقوانين[11]. لنستعد جزئية حرجة لبروس (ص.15) على لسانه:

> ليس من الصعب تتبع تاريخ المرحلة الأخيرة من التطور الدستوري في المستعمرات التي بها سلطة كفؤ, (أي, المترجم) إخضاع السلطة التنفيذية للسلطة التشريعية.
> بروس, ص. 175, سبق ذكره

هذا الإخضاع مذكور صراحة وفي مواضع أخرى. لنستكمل إقتباسا أوردناه عن بروس (ص.15):

> (..) في مجلس العموم في 16 يناير 1838 (..) مشيرا إلى مسألة مسؤولية التنفيذي أمام التشريعي, قال <لورد جون رسل>: "لقد أفدت أن هناك مكانا بعينه حيث يتم السيطرة بشكل كامل على سلطة التنفيذي , وهذا المكان هو مقر الحكومة الإمبريالية. إذا قدّر لصاحب السيادة the sovereign في هذا البلد أن يختار أولئك الذين حصلوا على ثقة التاج, لكنهم لم يحصلوا على أيّ من ثقة مجلس العموم (البرلمان الأدنى, المترجم), يجب أن يحدث تغيير وشيك في الحكومة, والدستور يمكنه أن يمضي فقط تبعا لهذا التغيير.
> بروس, ص.100, سبق ذكره.

مقارنة النصين تظهر توافقهما وأن جزئية إخضاع هذه السلطة لتلك واضحة وصريحة. المشكلة كما ذكرنا بشيئ من إسهاب من قبل تكمن في إضافة لا تبدو واضحة: "التاج". الخبرة والتجربة تعلمنا أن التاج لا يعني تاج الملكة أو الملك—على الأقل ليس في كل الأحوال. نورد الجدول أدناه لإعطاء القارئ فكرة عن مجال حمل الكلمات معان مختلفة جدا في النصوص ولسان الخطاب الرسمي في الدولة البريطانية (للقارئ أن يؤكد بنفسه ما أتينا به ببحث مستقل):

---

11. السياسة الإدارية بالتأكيد أحد أضلاع هذا المضلع. لكن نركز على ما هو أهم.

جدول 1: تعريفات مختلفة تخص السلطة المنتخبة في بريطانيا حاليا

#	الإصطلاح (ما يضاف إلى الملك يناسب الملكة أيضا حسب الحالة, كما في#1)	المعنى
1	King's Counsel (or Queen's Counsel)	المحامي بدرجة barrister, أي مصرح له بالترافع في المحاكم, الذي يعيّن كأحد المستشارين الرفيعين في القانون لصاحب الجلالة
2	King-in-Parliament	صاحب السيادة + البرلمان بشقيه (مجلسا العموم واللوردات)
3	Crown-in-Parliament	كما في رقم 2 أعلاه
4	The Crown	تأويل أول: تاج الملك أو الملكة تأويل ثان: عرش الملك أو الملكة, مثل أن يقال إعتلاء العرش accession to the Crown تأويل ثالث: جزء من السلطة المخفية في بريطانيا تأويل رابع: التأويل الثالث لكن متمثلا الملك أو الملكة (قرين الملك)
5	King's council	مجلس الملك. إصطلاح قديم قدم ملوك الأنقلوساكسون لا يستعمل الآن
6	King-in-Council	حرفيا, الملك بالمجلس. جزء من السلطة المخفية في بريطانيا. يمكن القول سلطة رابعة غير معلنة. ترجمة أدق: الآمر الناهي بمجلس الملك
7	The Remembrancer	يمكن أن نترجمه المذكّر العام. مسؤول (عميلagent) من شركة لندن Corporation of London يجلس خلف "الخطيب" أو the Speaker في مجلس العموم كـ "مراقب" للتشريعات الصادرة. المفارقة أن البرلمان يعتبر ذا سيادة: Parliament is sovereign (كنعت), بخلاف صاحب السيادة كما تقدم؛ وسيادته معرفة بـ الـ), فكيف يستقيم أن يراقبه موفد من شركة خاصة؟

نذهب الآن إلى عمق الموضوع ونورد إقتباسا لـ أليكس كاصلس <13> يتعلق بالإصطلاح رقم 6 أعلاه:

> "لقد أصبح في وضع المقرر به إذا ما تم اكتشاف وتشجير بلد غير مأهول على يد رعايا بريطانيين فكل القوانين الإنجليزية الموجودة حينها, والتي هي حق مكفول بالميلاد لكل رعية إنجليزي, ستسري فورا. لكن يجب أن يفهم ذلك بالكثير والأكثر من القيود. أولئك المستوطنون يحملون معهم من القانون الإنجليزي ماهو فقط بقدره كما يناسب وضعهم الحالي وظروف المستعمرة الوليدة (..) ما سيسمح به وما سيرفض, في أيّ الأوقات وتحت أيّة قيود فسيتم في المقام الأول البت فيه على يد مسؤل المنطقة هناك, مشروطا بقرار وسيطرة الملك بالمجلس؛ وسيكون كل دستورهم كذلك معرّضا لأن تتم نمذجته وإصلاحه على يد السلطة العامة النافذة للمشرّع في الدولة الأم." (أحيانا معرّفة The Mother Country هي بريطانيا, المترجم).
> أليكس سي. كاصلس, إستقبال ووضع القانون الإنجليزي في أستراليا, 1963, ص.4

على ضوء ما تقدم يبدو جليا أن هناك منطقة في النص تشير لإزدواجية تأويل السلطة بين "السلطة العامة النافذة للمشرّع", التي هي مجلس العموم البريطاني من ناحية, و"الملك في

المجلس", التاج, الخ من ناحية ثانية, كسلطة مخفية. أما بصدد إخضاع التنفيذي للتشريعي, فحتى هذه الجزئية غير مضمونة كما تفيد المراجع. ضمن آخرين, بروف. جورج بيرتون آدمز <14> يثير في أكثر من موضع إمكانية قلب العلاقة بين الجهاز التنفيذي والتشريعي:

> تطوران مهمان يتعلقان بالنمو الإداري أنتجا الكثير من النقاش ويستحقان إهتمام كل طلاب التاريخ الدستوري الإنجليزي الحديث. الأول هو التشريع الإداري, يشار إليه عادة كتشريع بالإنابة delegated legislation, والثاني هو العدلية الإدارية administrative justice. حاليا جزء يسير فقط من جملة مخرَج التشريع للحكومة المركزية. الأكثر كثافة في كم المسنون من القوانين statutes (في البرلمان, المترجم) هو زخم من "لوائح"regulations , "قوانين" rules , و"توجيهات" orders تعملها الجهات المسؤولة الموجهة والتي يهبها البرلمان سلطة سن القوانين. إن المدى الذي ذهبت إليه ممارسة إنابة سلطة التشريع يمكن رؤيته من خلال الحقائق حيث يوجد ستة وعشرون حالة من أصل أربعين قوانين عامة تختص بالشأن العام public general acts أجازها البرلمان في عام 1927, آخذين سنة واحدة للإستدلال (..)
> جورج بيرتون آدمز, التاريخ الدستوري لإنجلترا, 1921 <مصحح 1935>, ص. 573-74
> (نوصي القاري بمراجعة الطبعة الثانية\ما تلاها من 624 صفحة, وبمقدمتين. المترجم)

بروفيسور جورج بيرتون آدمز يثير في أكثر من موضع ليس فقط إمكانية أخذ التنفيذي صلاحيات من البرلمان المشرّع وحسب كما ورد أعلاه في جزئية التشريع بالإنابة؛ , بل أن يكون للتنفيذي اليد العليا صراحة. يحلل بيرتون (ص. 495, المصدر السابق):

> في فصل الكتاب "إنجلترا الديموقراطية" وجهنا الإهتمام إلى التغير في علاقة الحكومة[12] بمجلس العموم الذي لوحظ في الجزء اللاحق من القرن التاسع عشر. فلنصغ الأمر في إطار موسع, الحكومة الذي نُظر إليها كخادم لمجلس العموم يبدو أنها قد أصبحت سيدته. (..) جيل مضى منذئذ في عقبه قدم سيدني لو Sidney Low شهادة ليبيّن أن تلك المسؤولية (واجب الحكومة أمام مجلس العموم) ليست أكثر من وهم: "إن مجلس العموم," أفاد السيد لو, "لم يعد يسيطر على التنفيذي"؛ على العكس, فإن التنفيذي هو من يسيطر على مجلس العموم".

بيرتون هنا يمضي فيذكر صراحة على لسان السيد لو أن "نظرية أن يبرر الوزراء أيّا من, وكلّ أفعالهم أمام نواب الأمة في كل مرحلة", أو "أن أولئك النواب سيعفون الوزراء من مناصبهم" .. نادرا ما تحدث في الواقع الحديث (المصدر السابق). ويستدرك بيرتون (ص. 495, المصدر السابق):

> لم يقصد السيد لو أن الحكومة أصبحت غير مؤهلة للمسؤولية تماما, لكن المسؤولية المشار إليها أمام مجلس العموم تم استبدالها—بدرجة كبيرة على الأقل— بمسؤولية أمام الجماهير. الرأي العام, سواء ممثلا في الإنتخابات العامة أو عبر مؤسسات خارج الإطار الدستوري, خاصة الإعلام, يبدو أنه أعقب مجلس العموم كصانع ومطيح بالحكومات.

---

12. بيرتون ذكر تحديدا التشكيلة الوزارية the cabinet التي تمثل مع رئيس الوزراء قمة الجهاز التنفيذي, المترجم.

يبدو أن بيرتون وضع يده على أحد مواطن العلة. لكننا نمضى من العام إلى الأعم وبشيئ من اختصار: قدرة الحكومة المنتخبة (الجهاز التنفيذي) على التهرب من مسؤولية رقابة البرلمان؛ وقدرة الحكومة كما مؤسسات خارج الإطار الدستوري على تطويع الرأي العام. لأي مدى يمكن لهذا التطويع أن يذهب؟ أولا أسوء ما يمكن أن يحدث للحكومة هو إنحطاط شعبيتها وخسارتها للإنتخابات. ولكن يمكن للحكومة عمل تجاوزات كبيرة بين الدورات الإنتخابية مستغلة كل الثغرات الدستورية, بما فيها التشريع بالإنابة والتشريع المباشر لقوانين مجحفة لن يستطيع البرلمان بالضرورة منعها على أساس عدالة القضية, بل فقط على أساس أغلبية حزب\إئتلاف الحكومة في البرلمان! ثغرات صغيرة, تجاوزات كبيرة.

اليد الناعمة: "الملك بالمجلس" The King in council: ثغرات كبيرة, تجاوزات هائلة

في ختام هذا الجزء الحاسم من البحث نعود مرة أخرى لجزئية التشريع بالإنابة:

> الوزراء هم المستقبلون الأساسيون لسلطة التشريع بالإنابة, بيد أنها أحيانا قد توهب ***للملك بالمجلس*** (التشديد للمترجم) أو جهة مسؤولة أخرى. لكن في حال إعطاء السلطة للملك بالمجلس فإنها تمارَس على يد وزير ويتم وضع التوجيه بالمجلس order in council في القسم المعني في الجهاز التنفيذي.
> بيرتون, ص. 574

على ضوء كل ما تقدم في سياق القانون البريطاني, البت في القانون مشروط بسيطرة "الملك بالمجلس" (إنظر ص.18), والذي يمكن له كذلك الحصول على سلطة سن التشريع بالإنابة عن طريق "توجيه بالمجلس" كأحد الإستثناءات في الإطار الدستوري. أحد الأسئلة المفروضة, كيف يتجسد التوجيه المشار إليه؟ هل توجد أمثلة بعينها؟ نورد اقتباسا <15>:

> بقدر معرفة الكاتب, لم يقم أحد من قبل بعمل تحقيق شاف وشامل للإستئنافات الكولونيالية[13] المقدمة للملك بالمجلس. بيد أن أهمية ممارسة تقديم المحاكم الكولونيالية للإستئناف لتلك الجهة التحكيمية tribunal كمحكمة نهاية المطاف يبدو بديهيا. لقد علمت الممارسة أهل المستعمرات أن يرنوا بأكثر وأكثر من الأمل إلى جهة قضاء عليا للبت في قضاياهم القانونية و**للقبول بآراء ذلك الكيان كقانون** (التشديد للمترجم).
> المصدر, Harold D. Hazeltine, Appeals from Colonial Courts to the King in Council, with Especial Reference to Rhode Island, p.299, in Papers from the Historical Seminary of Brown University, by J. Franklin Jameson (Ed.), vol VII., 1896

ما يسبق يتضح أن "الملك بالمجلس" له صلاحيات قضائية. لنقرأ أيضا:

---

13. أي تلك المعمولة في أراض خارج بريطانيا خاضعة لسيطرة الإمبراطورية, المترجم.

رغم أن الملك بالمجلس مارس قضاءً يُبت في مسألته لأول مرة (مقارنة مع قضاء, "يراجع ويصحح حيثيات في أسباب بت فيها مسبقا", نفس المصدر, المترجم) في حدود معينة, ولـه سلطات أخرى بجانب القضائية, مثل تلك التي تُمارَس في إدارة الأمور السياسية للمستعمرات, فإن البحث الحالي معنيّ فقط بالمسائل المتعلقة بتلك الجهة الإستئنافية المسؤولة عن الإشراف على القضاء في ممتلكات أجنبية للتاج (! والتشديد للمترجم)

المصدر السابق, ص. 300 (للقارئ الذي يجد الشهية البحثية متابعة الموضوع في المصدر).

من الإقتباس نستطيع القول وبكل وضوح, بما أن الملك ليس له سلطة ممارسة سياسية في الإطار الدستوري (لا بالمعنى التنفيذي ولا التشريعي), باستثناء تشريفية أو رمزية, فإذن الملك ليس هو الملك بالمجلس King in council, كما أنه ليس التاج the Crown!

ونستطيع القول بذات الحسم إن الملك بالمجلس قد أضاف تركة سلطات متراكمة تشمل:

1. السيطرة على البت في أحكام القانون (ما يكون نافذا وما يستثنى, ظرفياته, الخ)
2. سلطة التشريع بالإنابة delegated legislation عن طريق التوجيهات بالمجلس[14]
3. صلاحيات قضائية إستئنافية في المستعمرات الأجنبية للإمبراطورية.
4. صلاحات أخرى تشمل سلطة إدارة المستعمرات.

ونستطيع القول أيضا إن التاج يبدو نظيرا للملك بالمجلس. يمكن القول بإنهما مثل وجهي الدرع coat of arms للحكومة البريطانية[15]. نقتبس الآن من إيرل هالزلبْري (إيرل لقب ارستقراطي في بريطانيا) في عمله الضخم<17>, قوانين إنجلترا: تدوين كامل لمجموع القانون الإنجليزي, من أكثر من ثلاثين مجلد, والصادر في عام 1909

المادة الثامنة – التاج في العلاقات الخارجية

تحت البند 1. – بشكل عام

اللائحة 658 بمقتضى الدستور الإنجليزي[16] يتصرف التاج كمفوض أو ممثل للأمة في القيام بالشؤون الخارجية, و ما يقام به في تلك الأمور عن طريق الجهة الملكية هو عمل للأمة كلها, ومُلزِم,للأخيرة .. دون الحوجة لغيره (الفقرة m). التاج إذن يتمتع بالحق الوحيد (! المترجم) في تعيين السفراء .. (الفقرة n), إبرام الإتفاقيات وشن الحرب والسلام .. (المترجم) (الفقرة o)

The Earl of Halsbury , The Laws of England: A Complete Statement of the Whole Law of England, 1909, vol 6, p.427.

---

14. سيدرك القارئ أن التوجيه بالمجلس order in council نوع خاص من التوجيهات orders للتشريع بالإنابة (ص.19)

15. في مزيد من التناقضات والإزدواجية المدهشة في عالم الإمبراطورية, نوث <16> يشير لأن حكومة بريطانيا (العظيمة) Government of Great Britain يبدو أنها غير الحكومة البريطانية the British Government.

16. الذي لم يُكتب حتى الآن! مرحى, مرحى! إنظر إي. سي. نوث <16>, الإمبراطورية المدينة: الطبيعة الإنفصامية للحكومة البريطانية, الطبعة الثانية, 1944 م. نوث له الفضل في إلهام هذا البحث. فليرقد بسلام هذا الباحث عن الحقيقة.

التاج إذن يتمتع بالحق الوحيد في تعيين السفراء .. (الفقرة n), إبرام الإتفاقيات وشن الحرب والسلام (الفقرة o), وبشكل عام تلك الأمور توكل بشكل مطلق إلى ما يراه صاحب السيادة مناسبا (التشديد للمترجم), متصرفا عبر القنوات الدستورية المعروفة وفقا لمشورة الحكومة أو وزير الخارجية, **غير مقيد بأي إشراف مباشر, سواء من البرلمان أو غيره** (!! التشديد للمترجم) (الفقرة p). بيد أن هناك كيفية ضبط غير مباشرة معطاة عن طريق التقليد والعرف القانوني للدستور (أسطورة لأنه غير مكتوب. إنظر الهامش 16 كما تقدّم, المترجم) الخاص بنظام التشكيلة الحكومية the Cabinet system, عُرف (أو مفهوم the doctrine, المترجم) المسؤولية الوزارية (الفقرة q), وما يترتب عليه من خشية فقدان المنصب, أو, ربما العزل (الفقرة r). فوق ذلك, يعتبر مضرب مثل دستوري أو تقليدا دستوريا أن إعلان الحرب والسلام, وتصريف الشؤون الخارجية, لابد من أن يكونوا وفقا لرغبة البرلمان, وفي اتفاقيات بعينها يجب الحصول على الموافقة البرلمانية (الفقرة s).
هالزْبْري, المصدر السابق, ص. 427-28

إذا كان هناك مضرب مثل للتحايل في صياغة القانون, فلن يسبق أحد النص أعلاه إلى نيل ذلك الشرف. آنيا نلحظ شيئين: الأول إستبعاد البرلمان من أي كيفية ضبط مباشرة لأمور سيادية حرجة يقوم بها التاج تشمل الحرب والسلام, الشؤون الخارجية وبالطبع السياسة الخارجية. ثانيهما تمتع التاج بالحق الوحيد في ممارسة الأمور السيادية, بينما إيكال الأداء إلى صاحب السيادة (رمزيا) والحكومة (عمليا). اللغة, إذن كأداة للترميز, "تدخين" النص والتلاعب في السلطة. وكل ما تلى من آلية إشراف غير مباشرة, فليس سوى ذر للرماد في العيون؛ لأن المحروم من حق الإشراف المباشر لا يمكن أن يحوزه من وراء حجاب تعويضا عما فقده. وكما أنشد المغني, أحرموني ولا تحرموني. أخيرا, نرى تجليات ثاني الأمرين المذكورين, وهو إعطاء اليد الناعمة لصاحب السيادة تفاصيل دور "سيادته"[17]:

الجزء الخامس Part V السلطات الملكية الخاصة The Royal Prerogatives
المادة الأولى – بشكل عام
تحت البند 4. – سلطات خاصة للحُكم والرسمية Prerogatives of Power and Authority
اللائحة 550 صاحب السيادة كرأس للدولة supreme head of the State
بصدد السلطة والرسمية الملكية, صاحب السيادة هو المسؤول التنفيذي الأعلى بالدولة the supreme executive officer of the State. هو رأس الكنيسة, القانون, البحرية والجيش ومنبع كل ألقاب التشريف, الإمتيازات والعز؛ تصريف الشؤون الخارجية, وإعلان الحرب والسلام تكلف إليه وحده ووزرائه, ومعها تنفيذ وإدارة القوانين
هالزْبْري, المصدر السابق, ص. 375

17. It does not get any more ironic than that.

الإقتباسان الذين أوردناهما, المادة الثامنة (التاج في العلاقات الخارجية تحت البند 1) والمادة الأولى, بشكل عام تحت البند الرابع (سلطات ملكية خاصية), يحسمان وبشكل قاطع في رأينا فزّورة الملك والملك بالمجلس, أو الملك والتاج: إذ أن التاج "يتصرف كمفوض وممثل للأمة .. يتمتع بالحق الوحيد" في ممارسة مهام سيادية حرجة وخطيرة تشمل إبرام الإتفاقيات وشن الحرب ووقفها؛ بينما تلك الممارسات المكفولة للتاج وحده لا شريك له "تكلف بشكل عام إلى ما يراه صاحب السيادة مناسبا, من خلال القنوات الدستورية وفقا لمشورة الحكومة أو وزير الخارجية, **غير مقيدة بأي إشراف مباشر** (! المترجم)".

هل هي كذبة المنبر؟ لحوم الأيديولوجيا المزيفة عبر ضفتي القنال

"في السياق الفرنسي" تقتبس د. كارتر عن بول فريدلَنْد[18] قائلة": ديمقراطية الإنتخاب .. كانت منذ مخاضها تناقضٌ داخل الإصطلاح, لسبب أساسي هو أن الديمقراطية الحقيقية تحجب الإنتخاب," بول فريدلند, ذكرته كارتر, مصدر سبق ذكره. وأوردت مثالا يصلح أن يكون حالة دراسية في تناقضات ديمقراطية وحكومة الإنتخاب, ألا وهو حديث النائب جان-لُوي سيكوه الذي طالب بمنع استشارة الأمة (! المترجم) في المسألة العويصة حول مصير الملك لويس السادس عشر (راجع الهامش 8, ص.14) مقترحا:

> ضرورة إختيار "صفوة (..) حتى أقلية مرشدة ستحكم الأغلبية" .. سعيا لتحديد "حقيقي وواقعي لإرادة وحوار الجميع"
> أرشيف البرلمان الفرنسي للأعوام 1787-1860, المجلد 56: من 29 ديسمبر 1792 إلى 11 يناير 1793, ذكرته كارتر <10> كما تقدم

يمكن لأصحاب القلوب الرهيفة أن يصابوا بالدوار أو فقدان الوعي من حجم التجاوزات المحتمل والمحتشد في خطاب وكل خطبة منبر للنائب سيكوه. الرواية المهيمنة للتاريخ تمدح لنا ضمن ما تمدح تقدم وازدهار العلم في فرنسا في عهد الثورة الفرنسية وديمقراطيتها النجيبة. لم يخطر ببال المتفقين مع الرواية أن يذكروا, ولو على هامش أسطورتهم أن العلم والعلماء في فرنسا قد نُكّل بهم تنكيل محمد علي باشا بالمماليك. في جزئية العلم والعلماء من الدعاية للثورة الفرنسية منطقة مغيبة هي الرجعية التي أعدمت وروّعت الآلاف منهم بإسم الحرية: الذين سيقوا إلى ساحة الإعدام لتسيل الدماء أنهارا في ثورة حرية, مساواة وإخاااااء, ومنهم من تراوحت مصائرهم بين التشريد ليصبحوا لاجئين في المنافي أو الإنتحار, كما يذكر ستيف جونز <18> في كتابه No Need for Geniuses. الفضل له في تسليط الضوء على تلك الجزئية المظلمة, رغم أنه في رأينا لم يمض إلى الميل الأخير ولم يضع كل النقاط على الحروف. دور السلطة المنتخبة في إحداث أمية علمية وسياسية في فرنسا من الأهمية بمكان؛ الأهم هو كشف دور السلطة المنتخبة هناك في سرقة حصان الديمقراطية عبر اللغة والثغرات الدستورية. وبعد الخوض في مياه البرلمانية البريطانية يمكن لأصحاب البارانويا العميقة (عن تجارب مريرة) أن يختاروا أيهما أشد وطئا, التلوث على الضفة الإنجليزية أم الفرنسية للسلطة المنتخبة.

---

18. Paul Friedland, Political Actors: Representative Bodies & Theatricality in the Age of the French Revolution, 2002 لم نطلع عليه.

وربما سنلتمس لهم العذر إن رأيناهم يغمسون ريش الكتابة في محبرة حمراء, ليضعوا ألف خط تحت النخب المشرّفة بتمثيل الشعب في سلطة منتخبة. لعلهم يسجلون في افتتاح الدعوى: باسمك اللهم, هذا قِدر أكلُ لحمه أضر من نفعه, فادلقوه!

السوس في الدقيق الدستوري: إستقلال بالحضانة

نعود لنبش جزئية وعدنا القارئ بالخوض فيها, وهي إقتراحنا بظهور فكر السلطة المنتخبة (الحكومة المنتخبة), السلطة الكفؤ, الخ مع بداية ما سميناه "*الإستعمار الثاني*: ونعرّفه بشيئ من الدقة بالفترة بعد فقدان بريطانيا مستعمرة الولايات المتحدة, ومن هنا السباق لتأسيس مستعمرات جديدة". الذي حدث هو أن جميع الدول "المستحقة" في زعم أباطرة جغرافيا القهر والتمييز والذين تقدم ذكرهم في هذا البحث, لصفة السلطة المنتخبة قد تم "إلصاقها بالإمبراطورية". فرأس الدولة في كندا, أستراليا, نيوزيلندة لا يزال صاحب السيادة في بريطانيا اليوم, جلالة الملكة إليزابيث الثانية. وحتى جنوب أفريقيا بعد استقلالها وتحوّلها إلى جمهورية ظل رأس الدولة التشريفي فيها ceremonial head of State حتى الثمانينات هو نفسه صاحب السيادة في "الدولة الأم", أي بريطانيا. لسنا أول من أنكر هذا الوضع: أن ترضى دول مستقلة وذات "سيادة" طواعية بأن يكون رأس دولتها وسلطتها المنتخبة أجنبيّ من دولة أخرى. ولكن من منظور إمبراطوري فهذا ليس شيئا مدهشا, وإن إعتبره المرء مثيرا للإهتمام. الإمبراطورية البريطانية التي لا تزال حية وموفورة الصحة والعافية (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) إبتدعت هذه الصيغة. وكما يقول بروس <3>:

> سياسة المستعمرات الحاكمة لنفسها المشترك في كل منها وضعت منذ أمد بعيد على أساس رغبتهن في البقاء في الإمبراطورية البريطانية .. **النموذج** في هذه السياسة يمكن التعبير عنه بشكل لا بأس به بالقول بإن رغبة المستعمرات الحاكمة لنفسها في عمل شراكة مع المملكة المتحدة على أساس المساواة بين الأمم. نتيجة تلك السياسة أضحت أن تُلحِق بإخلاص المستعمرات الحاكمة لنفسها قيودا بعينها تلح عليها المستعمرات. أن ولائهن للتاج محدود فقط بالظروف الحاكمة لعلاقات الرعايا بالتاج في المملكة المتحدة وفي وجود حكومة دستورية. أن ولائهن للإمبراطورية مشروط بمطلب بجمعية شراكة لها مسيطرة على علاقات المستعمرات الحاكمة لنفسها مع بعضها البعض ومع البلدان الأجنبية.
>
> بروس, ص. xv, سبق ذكره

رغم أن بريطانيا ليست القوة العالمية الوحيدة التي لا تزال تقيم وشائج علاقات مستمرة مع دول أخرى مرتبطة بالتاريخ الإستعماري "للدولة الأم", لكن الإقتباس أعلاه يشير إلى تفضيل بريطانيا لأشكال مطاطة جدا من العلاقات مع دول مستعمراتها السابقة التي اجتاحها نسل الأنقلوساكسنس وأصبحوا أغلبية فيها. والنقطة الأساسية التي أثارها بروس, أن سماح بريطانيا لتلك المستعمرات بالحصول على الحكم الذاتي (بالتدريج) ضمان

لولائهن للإمبراطورية مستقبلا, وتفادي التجربة الفاشلة في الولايات المتحدة التي انفصلت عن الإمبراطورية بشكل عنيف بسبب تدخل الحكومة البريطانية[19] في الشؤون الداخلية هناك. المفارقة أن "التاج" بعد أكثر من أربع وثمانين عاما بعد انفصال الولايات المتحدة عنه (إعلان الإستقلال كان في 1776), لم يترك ولعه بالتدخل في الشؤون الداخلية لتلك المستعمرة السابقة, بمساندته للإنفصاليين في الجنوب في الحرب الأهلية الأمريكية التي مات فيها مئات الآلاف. المفارقة الثانية هي, المسافة بين النظرية والتطبيق في قدرة المستعمرات الأخرى التي حصلت على الحكم الذاتي من بريطانيا دون الحاجة لانفصال عنيف على "عمل شراكة مع المملكة المتحدة على أساس المساواة بين الأمم" على أرض الواقع. سواء كندا, أستراليا, أو نيوزيلندة, فكلهن يعتبرن ملكيات دستورية constitutional monarchies. لكن نظرة إلى الوضع الدستوري, ولا أقل من ذلك الدستور نفسه تُبدي أوضاعا مثيرة للإهتمام. قد لا يعلم القارئ أن كندا, إضافة لأن رأس الدولة فيها هو ملكة بريطانيا, فكذلك لا يزال بها حاكم عام Governor General كندي (كان بريطانيا في السابق حتى خمسينات القرن العشرين) هو الذي يمثل رأس الدولة هناك إنابة عن ملكة بريطانيا . ورغم أن الشائع أنه دور فخري رمزي لا غير, إلا أن الدستور الكندي يعطي قراءة مختلفة وصدمة واقعية لمن يعتقد بالشائع. فالدستور يمنح الحاكم العام صلاحيات تبدو موازية لصلاحيات إقطاعيي العصور الوسطى – بما فيها<19>:

الدعوة لإنتخابات مجلس العموم (المجلس السفلي للبرلمان الكندي)
تعيين أعضاء مجلس الشيوخ (المجلس العلوي للبرلمان الكندي)
تعيين القضاة
ورئاسة الجيش الكندي الذي طبعا يسمى الجيش الملكي الكندي.
المصدر: thecanadaguide.com

سواء الحاكم العام إبن البلد الذي يمثل رأس الدولة الأجنبي (!), أو فسيفساء الكومنولث, أو أشياء أخرى .. سواء نظر المرء إلى الشمال في كندا, أو إلى الجنوب في أستراليا أو نيوزيلندة فيستطيع للباحث عن المتاعب أن يجد آثار "سوس الدستور" في خشب السلطة المنتخبة, التي يمثل النموذج البريطاني بالنسبة لها الحاضنة والعباءة الكبيرة التي مرق من كمها محترفو التدليس في الإطار الدستوري. إنها حالة العجول المشتاقة أبدا لضرع أمها.

---

19. من المثير جدا للإهتمام أن بروس عندما يقول "الحكومة البريطانية" the British Government , فالأمر دائما يتعلق بسياسة بريطانيا الخارجية وليس أوضاعها الداخلية التي في سياقها يصفها بروس بـ"حكومة بريطانيا (العظمى)" Government of Great Britain.

كيف يتعامل الإنجليز مع المعارضة: تاريخ قصير لطغيان الأنقلوساكسون (1)

ذكرنا في صدر البحث ريجنالد هورس <1> وكتابه, أصول العرقية الأنقلوساكسونية قبل عام 1850 م. في ذلك المرجع, ذاكرا كيرتِس[20] يتحدث هورس في ص. 398 عن "إعتقاد في حرية الأنقلوساكسون حدث أن كان مستخدما للدفاع عن الحريات العامة", أي أن الأنقلوساكسون بذلك الفهم أناس أحرار يعتقدون في الحرية. هورس, ذاكرا كيرْتْس أيضا أورد أن هذ الفهم "تحوّر بحلول عام 1850 إلى أيديولوجيا عنصرية". النقد التاريخي للأنقلوساكسونية Anglo-Saxonism تهمّ بحثنا هذا في جزئية تطورها كما ذكر هورس في بداية القرن السابع عشر, حيث يذكر هورس:

> لكن التركيز على الأنقلوساكسون كأكثر الفروع تميزا من الأصول الألمانية المتينة وتعيش بحرية, أصبح ركيزة للكتابات عن الأنقلوساكسونية في القرن السابع عشر. عشق الحرية, كسِمة للشعوب الألمانية قد تم, حسب تلك الحجج تحويله إلى نظام للمؤسسات الحرة
>
> Levy, Tudor Historical Thought, 143; Jones, Triumph of English, 220-23, 232; Brinkley, Arthurian Legend, 55-61; Kliger, Goths in England, 115-19; Kendrick, British Antiquity, 116-20. Fn 6, all mentioned in Reginald Horse, ibid.

بعد التمهيد للموضوع, سنبين للقارئ إلى أي مدى يعتقد الأنقلوساكسون عبر سلطة[21] مؤسساتهم بالحرية, وبشكل خاص التعامل في مسألة معارضة الناس للسلطة. إقتباس<20>:

> في عام 1667 تم إجازة قانون (في برلمان جزيرة باربيدوس Barbados إحدى مستعمرات التاج, المترجم) لـ "تنظيم وحكم أفضل للزنوج". إفتتاح القانون كان, "حيث أن مستفلحات plantations وأملاك هذه الجزيرة لا يمكن إدارتها وإستغلالها بشكل كامل دون عمل وخدمات عدد كبير من الزنوج **وعبيد آخرين ..** (التشديد للمترجم)".
>
> المصدر هاري هـ. جونستون, الزنجي في العالم الجديد, ص. 212-13

لنا أن نسأل, من هم أولئك العبيد الآخرون؟ يجيب جونستون على سؤالنا في هامش النص, الأقواس كما في النص الأصل:

> خلال كل النصف الثاني من القرن السابع عشر كان هناك بالطبع الكثير من الإنجليز, الأيرلنديين وسكان ويلز من العمال المسخّرين indentured labourers (عبيد بصورة فعلية) وسجناء سياسيين الذين باعتهم الحكومة البريطانية والذين عوملوا أسوء من العبيد.
>
> جونستون, المصدر السابق.

لعل في ذلك عبرة للذين لا زالوا يصدقون الخديعة الكبرى عن حب الأنقلوساكسون للحرية. ولنا أن نتساءل مرة أخرى, في أية ظروف تم اعتقال, نفي وبيع أولئك السجناء السياسين

20. Anglo-Saxons and Celts: A Study of Anti-Irish Prejudice in Victorian England

21. السلطة كما الشعب. وهناك من يقول بإن البناء التحتي إنعكاس للبناء الفوقي.

من الرجال البيض في إنجلترا, إيرلندا وويلز؟ المشكلة أن كتب التاريخ المدرسية تقدّم التاريخ أحيانا بصورة مثيرة للرثاء. الحرب الأهلية الإنجليزية مثلا, التي قتل فيها الآلاف بما فيها ملك إنجلترا, اسكتلندا وإيرلندا, تشارلز الأول الذي حز رأسه بالسيف على الملأ, وإستمرت لتفتك بآلاف آخرين تُقدم على أساس اختلاف بسيط الأبعاد على السلطة بين الملك والبرلمان, ينتهي في النهاية بحسم الصراع لصالح البرلمان. في ذات الوقت يحدث إسقاطٌ على الوقائع من سيناريو نظري للتاريخ. جزء منه نمذجة تخييلية للعنف في الأحداث. ويبدو كزحف بطيئ, حتى في تخبطه أو انتكاساته فهو يتقدم في ضمير التاريخ نحو إعلاء مطالب الديمقراطية. إن قدرة الأنقلوساكسون على إسقاط رؤيتهم للعالم على أحداث التاريخ من الكفاءة لدرجة قف تأمل. لكن إحدى الثغرات الرئيسية في هذه الواقع المصنوع من أسطورة هي موقع الجزء غير الظاهر من السلطة من الأحداث. فلنقرأ:

> قوانين الملاحة (التي أجازها البرلمان في إنجلترا, المترجم) التي كان لها أثر بالغ في تبدل وَلاء مستعمرات شمال أمريكا, غرست شجرة الإزدهار في برمودا لسببين هما الإنعام بالإمتيازات على السفن تحت العلم البريطاني والأرباح التي تُحقق من التهريب على يد بحارة جسورين غير مبالين بالقوانين المراد منها السهر على المصالح الأنانية لبريطانيا العظمى.
> جونستون, ص. 208, المصدر السابق.

جونستون يقودنا عن غير قصد إلى كشف اللثام عن غرزة تاريخية كبيرة. يشرح الكاتب إيراده لقوانين الملاحة Navigation Acts لى هامش النص, ونورد الهامش كاملا لأهميته:

> بما أن قوانين الملاحة التي أجيز أولها في عام 1651 كان جوهرها تجارة الرقيق وتطوّر الهند الغربية يمكن وصفها هنا باختصار: كانت قوانين البرلمان البريطاني (باعتبار صفة البرلمان في المستقبل بعد قيام المملكة المتحدة, 1707م, المترجم) التي حصرت عبور منتجات المستعمرات على متن سفن إنجليزية أو ملكيتها في المستعمرات بربان إنجليزي وثلاثة أرباع طاقم السفينة من الإنجليز. والبضائع المتوجهة إلى المستعمرات الأمركية وجزر الهند الغربية سمح لها بالملاحة فقط بكون ربانها, طاقمها, عمالتها وتحميلها في موانئ إنجليزية. وفوق ذلك أشتُرط للجزء الأكبر من المنتجات المزروعة أو المصنعة في مستعمرات أو مستزرعات plantations أمريكية أن تُصدّر إلى إنجلترا فقط. قيدت قوانين أخرى مشابهة جدا صناعات المستعمرات (وبنفس القدر في إيرلندا, النص الأصل)؛ لدرجة أنها بزت أسبانيا في سياستها المقيتة تجاه مستعمراتها في أمريكا. قوانين الملاحة بدأها بالطبع أوليفر كرومْوِل لخلق بحرية تجارية مقتدرة لإنجلترا, ولتوجيه ضربة للهولنديين الذين أصبحوا أكبر ناقلي العالم للرقيق وكل شيئ آخر. تم إتباعها بتشريعات مشابهة في عهد تشارلز الثاني لتنجز مقصودها؛ لكن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كلفتنا مستعمراتنا الأمريكية الأصلية وأرجعت التنمية التجارية لجزر الهند الغربية البريطانية. تلك القوانين الملاحية كاد أن يتم إلغاؤها تماما بتشريع هَسْكِسون في 1823 واختفت تماما مع مشرق عهد التجارة الحرة في عام 1849
> جونستون, المصدر السابق, هامش رقم 2

فلنسلط الضوء على مجموعتي "العبيد الآخرين" المذكورين في قانون 1667: (أ) السجناء السياسيون من إنجلترا, إيرلندا وويلز؛ و(ب) العمال المسخّرون, ونربط ذلك بتاريخ إجازة برلمان إنجلترا لقانون الملاحة في عهد كرومْيل, أي في عام 1651. في ص. 40 من كتابه, تاريخ مختصر لسياسة بريطانيا الإستعمارية, هْيو إدوُد إيقَتون <21> يذكر:

> من المستبعد جدا أنه على الأقل قبل عام 1650 وُجد أي مُدانين تم ترحيلهم ولم تحتوِ قضايا محاكماتهم على ظروف خاصة تستدعي نظر المحكمة بعين التعاطف .. في المجمل يبدو أن العدد الأكبر من المُدانين الذين تم ترحيلهم إلى فِجينيا[22] Virginia كانوا مرتكبي جنح سياسية political offenders, وبديهيا بالتالي أن يكونوا من ذوي القيم الأعلى نبلا.
>
> المصدر Hugh Edward Egerton, A Short History of British Colonial Policy, p.40

نستنتج من كلام إيقَتون أنه قبل عام 1650 كان جل المُدانين من الرجال البيض المرحّلين المنفيين خارج بلادهم أشقياء عاديين في دنيا الإجرام. وبعدها (مصداقا لكلام جونستون) تغير الزمان إلى سلطة تعتقل, تنفي وتبيع المعارضين السياسيين من أهل البلاد كعبيد في المستعمرات. قد يفسر هذا بشكل جيد سيرة الملك تشارلز الأول الذي تقدمه الرواية المهيمنة للتاريخ كطاغية إستبد بالحكم, وأوليفر كرومْيل, الذي كما مازحت طلابي بصدده, الرجل الذي سقط من ثقب المكان ليضع أياديه في كل مكان The man who came from nowhere and put his hands everywhere يتم تقديمه كبطل مغوار أنهى استبداد طاغية تَم ضربُ عنقه على الملأ. كانت السلطة تستأصل ذكورة الجزر البريطانية, جيلا في إثر جيل بالتخلص من الرجال الذين حملوا في صدورهم روح التمرد. لكن هذا الكلام يحتاج إلى مزيد من التفاصيل. فالشعوب ليست دمى غبية في أيدي سلطان جائر, ولو كان اليد العميقة. مرة أخرى نحْذر ونحذّر من الإنزلاق إلى تعميمات تكشف المهم وتسقط الأهم. ما نسعى إليه هو توجيه القارئ بصبر أيوب, آملين بدعوة إبراهيم أن نُدوزن في بيت التاريخ بوصلة هذا القلب (القطار) إلى نهايات آمنة. نستكمل الحديث, بعد أن نخوض في المسألة الثانية, أي العمال المسخرين. هناك تمهيد يستحق أن يذكر: إخترنا في هذا البحث القرن السابع عشر (البداية من سنة 1600م) لأن هناك عدة روافد تاريخية مهمة تلتقي في هذه الدلتا. هذا القرن شهد تنامي نفوذ الشركات والمصالح الخاصة في إنجلترا فيما يخص التجارة والعلاقات الخارجية. يقول إيقتون (ص. 20), والأقواس من عندي, م.س:

> بصرف النظر عن أي اعتبارات تنادي الآن (تاريخ النشر, م.س) بالإستعمار عن طريق الشركات, فقد كانت تلك الشركات في القرن السابع عشر أمرا لا مناص عنه على الإطلاق .. التاريخ الفعلي للمستعمرة بدأ بتأسيس شركة فِجينيا في عام 1606م.

---

22. أهمية فِجينيا: أول مستعمرة في الجزء البريطاني من قارة أمريكا الشمالية (جونستون, سبق ذكره, ص. 208).

في نفس الموضع يتحدث إيقَتون عن تطور في موقف البرلمان ومجلس الصفوة Privy Council من حيث ماذا يمثل كل منهما في الترتيب الدستوري (ص. 18). وفوق ذلك, كلامه يوحي بنشوء لوبي ضغط, أو ما تكن التسمية موجود في البرلمان واقف بشكل ظاهر أو مستتر مع مصالح الشركات. ذاكرا براءة حقوق فردية أجازها برلمان أسبق في عام 1584, تم تجهيز مسودات قوانين لوضعها بين يدي البرلمان اللاحق في 1614 ومن بينها:

قانون لفِلاحة وإمداد أفضل لولاية فِجينيا, وأعلن في مجلس العموم أن البراءة ضد القانون, وقد عُبّر عن أمل بسحق البراءة الفردية, وإجازة قانونٍ في البرلمان لحكم المستعمرة على يد شركة. إيقَتون, المصدر السابق.

وفي السياق التاريخي لنشوء الشركات المقصودة ندين لإيقَتون بهذا التوضيح:

.. أول ظهور للشركات ذات الإمتياز[23] chartered companies, كوسيلة لعبت دورا بالغ الأهمية في تاريخ سياستنا الإستعمارية في الأعوام الأولى من القرن السابع عشر .. المصدر السابق.

ما أن حددنا الإرتباط بين أهمية تاريخ نشوء شركات الإمتياز وبين البرلمان, أو أيّ قوى سياسية تكون, فقد أصبنا عنق االموضوع في مقتل. ذكرنا فيما تقدم أن كلام إيقَتون يفهم منه ابتداء بيع السجناء السياسين بعد 1650 (تحديدا في 1651, سنة إجازة البرلمان لقانون الملاحة), أي في عهد كرومْويل الذي كان من الموقعين على حكم إعدام تشارلز 2, حيث أعدم في يناير 1649. إذا كان هذا هو وضع العبيد السياسين بعد 1650, فماذا عن العبيد الآخرين قبل عام 1650؟ إيقَتون يذكر:

في عام 1618 نسمع عن لندن المدينة the City of London "تشحن إلى هناك (فِجينيا, م.س) مائة من الغلمان والبنات الذين باتوا في الشوارع وقد أكلهم الجوع," وأن النساء الشابات في بعض الحالات تم 'دفعهن للهجرة'. بحلول عام 1638 .. رواية سير جوسيا تشايلد شائعة جدا – "فِجينيا وباربيدوس سكنهم في البداية صنفٌ من الصعاليك المشردين, أجلاف وبلا مأوى في منبت رأسهم, وهم إما لا يصلحون للعمل, أو لا يستطيعون إيجاد أي مورد رزق, أو سلوكهم من السوء بمكان كالدعارة, السرقة والشهوانية, فلا يرضى أي أحد إعطائهم عملا, الذين جمعهم التجار وملاك السفن (كعملاء أو 'نفوس\أرواح' كما يُدعَوْن) من شوارع لندن وأماكن أخرى للتشغيل في المستفلحات plantations." .. شهادة زبون ميناء لندن .. "معظم الذين يذهبون إلى فِجينيا ليس لهم في العادة مأوى, لا يستطيعون تحصيل شهادة, والأفضل أن يكون خارج المملكة من داخلها."
إيقَتون, ص. 39

إيقَتون شكّك في الشهادات السالبة عن المهاجرين وخلص إلى أن عكسها هو الصحيح.

23. شركات تنشأ بموجب مرسوم ملكي Royal Charter وتمنح الشركة إمتيازات محددة وغالبا حقوق احتكار, المترجم

ونقول, إن كان إيقَتون محقا, فهذا يعني ممارسة "المدينة" للإستغلال كما اغتيال الشخصية. من يسمح بعمل كهذا, باستغلال الضعفاء ورميهم بكل أنواع القبح كي (في رأينا) يُبرّرَ إعطاؤهم من فتات الموائد بدل أجورهم الموعودة. هذه حقيقة تبدو واضحة: ظهور شركات الإمتياز في المستعمرات مع تدني بيئة العمل وجشع من يقدمون "فرص" العمالة. نقرأ من موقع ناشونال جي يوقْرافيك<22> وما بين الأقواس من عندي, م.س:

> جزء من السبب أن العبودية نشأت بشكل مختلف في (منطقة, م.س) نيو إنقلنْد عن الولايات الوسطى والجنوبية كان العمل المسخّر (يمكن أن نقول السُخْرة) indentured servitude. كسنّة إنجليزية (أي سنّها الإنجليز قبل استقلال الولايات المتحدة, م.س), كانت السخرة المعيار الأصلي للعمل في نيو إنقلنْد والولايات الوسطى كبِنسِلفينيا وديلاوير. كان أولئك الخدم المسخّرين أناسا يعملون لقضاء ديونهم, عادة عن طريق توقيع عقد لعمل من نوع السخرة من أربع إلى سبع سنوات. المؤرخون يُقدّرون أن أكثر من نصف السكان في الولايات الأمريكية تم جلبهم كعمال سخرة.
>
> المصدر https://www.nationalgeographic.org/article/new-england-colonies-use-slaves/

رغم أن موقع ناشونال جي يوقرافيك لا يذكر مصادر إحصاءاته, إلا أن تجميع الظروف الموضوعية للمهجّرين (الذين تقدمهم الرواية الرسمية كمهاجرين) تشير إلى أن هناك أعداد كبيرة جدا من البشر نقلوا غصبا عنهم إلى "الأراضي الجديدة". تشريع 1667 الذي أجازه برلمان باربيدوس الخاضعة للمملكة, كحالة موثقة في التجاوزات الهائلة التي توضح بيع رقيق من كل الألوان في الأراضي الجديدة هو جزء وحسب من حركة كبيرة في عين التاريخ: إستغلال عرق ودم الكادحين حتى الذين في أعمار صغيرة؛ قمع الثائرين, إحتلال أراضي الغير بالقوة, توسيع فرص أكبر وأكبر للتجارة, وطبعا إصطدام الدول التي تملك أسباب القوة في أعالي البحار. وهذا يقودنا لنقطة مهمة حول سياسة الدول الخارجية: في الخط العام للتحليل التاريخي يوجد معظم التركيز على الدولة – أي جعل "الدولة" مركز التحليل ومركز الأحداث. وذلك عند تحليل السياسات. هناك مداخل تاريخية أخرى لتحليل الدول: العنف واحتكار العنف في الدولة, مثل تشارلز تِلي[24]؛ (إنظر أيضا جانيس تومسون[25]<23> (نعود لها لاحقا)؛ الدولة إن لم تكن مصدرا للقتل والعنف, فعلى الأقل إنتقاد تصوّر أنها مركز المصلحة العامة للناس[26]. أكثرهم في رأينا إقترابا من أو تقاطعا مع وجهة نظر البحث هم من يضع مبدء تركيز المصالح كأساس للهيمنة في التجارة (وبعدها السلطة). بشيئ من الأناقة, نقتبس من مؤلف كتاب الأخوات السبع Seven Sisters:

---

24. Charles Tilly, ed., *The Formation of National States in Western Europe,* 1975 (Princeton, US

25. المؤلفة إختصت من العنف نشاط القراصنة والمرتزقة. إنظر Janice E. Thomson, Mercenaries, Pirates, And Sovereigns, 1994

26. إنظر على سبيل المثال, William T. Cavanaugh, Killing for the Telephone Company: Why the Nation-State is not the Keeper of the Common Good, Modern Theology, April 2004 تتشارلز تِلي كان الرائد. في سياق البحث, إنظر الباحثة تومسون الصفحة التالية.

The rise of interest, or group of interests, which, by centralisation of power, and dispersion of interest attains, in due course a paramount position.
Anthony Sampson, The Seven Sisters: the Great Oil Companies and the World they Made, 1975

ترجمة الإقتباس أعلاه:

المصالح تتنامى لتحقق موقعا عظيما في أوان سيأتي عن طريق مركزة القوة وتنويع المصلحة.
أنتوني سامبسون<24>, الأخوات السبع: شركات البترول السبع الكبرى والعالم الذي صنَعْنَه, 1975

والقارئ الجيد للتاريخ عليه فقط أن ينظر إلى أكبر مركزة قوة في الجزر البريطانية ليتتبع مسار السياسة, الحرب والتاريخ. بشيئ من الإختصار كل الصراعات والأحداث السياسية الجسام في الممالك الثلاث: إنجلترا, سكوتلندا وإيرلندا قصتها دائما ملك وبرلمان, ودورات حروب وسلام يشنها الملك, أو تُشَن عليه باسم المملكة. جانيس تومسون <23> عملت تحقيقا ممتازا في دور القرصنة والمرتزقةِ الهواةِ والمحترفين على السواء في تنمية وتوسع العنف. مثل الماء في الإناء, تتحور الحالة القرصانية: دفق هادئ أو مضطرب. صافٍ رقراق أو متعكر. ينفع الناس في الأرض أو طوفانيّ تدميري. "التاج" في نظر الباحثة كان مع, ضد, وأحيانا على الحياد من الحالة القرصانية*:

في 1413م جعلت إنجلترا القرصنة كخيانة عظمى. لقرن من الزمان تغاضى الملك الإنجليزي عن قرصنة الموانئ الخمسة, ربما لأن أنشطتهن القرصانية مرسّت مهارات للبحارة تعود بالنفع على مغامري الملك حين يشن حربا. لكن عندما انفلت عقد نشاطات قناصي الربح أجازت إنجلترا قانونا ضد القرصنة. لكن نظرا لأن الموانئ ألفت القرصنة, وجنى من له سعة أرباحا طائلة من الإستثمار في تلك الأعمال, لم يتم قمع القرصنة الإنجليزية .. في 1544, في حربه ضد فرنسا أوحى الملك هنري الثامن للمغامرين أن قرصِنوا ماشئتم, سامحا لهؤلاء بالإحتفاظ بكل ما يغنمون. تقلص إسهام المغامرين في قدرة البحرية البريطانية بالملاحقة التدريجية للقرصنة وإلزامهم باقتسام غنائمهم مع عدد من المسؤولين. ما عمله هنري الثامن صُمم لزيادة التحفيز لكسب المغامرين المزيد. نالت انجلترا تفوقا بحريا على اسبانيا بشكل كبير نظرا لـ "كلاب بحر"* الملكة إليزابيث. أولئك المغامرون المأجورون للمصالح الخاصة, تواطئوا مع التاج الإنجليزي مارسوا كل أنواع العنف الموجه ضد اسبانيا في العالم الجديد. بجانب نهب السفن والمستوطنات الأسبانية قام بعض من .. هؤلاء كـ دريك, كافنْدِش, كليفورد (الإيرل الثالث لكمبرلند), ورالي بممارسة ما يمكن تسميته الإرهاب المسنود من الدولة .. كمبرلند إحتل بورتوريكو في 1598 بحملة خاصة. سلك كلاب بحرٍ آخرون طريقا مشابها في النهب والسلب والإبتزاز وصولا إلى الغنى والشهرة في انجلترا, مقتسمين غنائمهم مع التاج الإنجليزي.
Janice E. Thomson, Mercenaries, pirates, and Sovereigns: State–building and Extraterritorial Violence in Early Modern Europe, p.23, 1994, Princeton, US

* الباحثة تورد جزئية اقتباسها نقلا عن: Kenneth R. Andrews, *Elizabethan Privateering: English Privateering during the Spanish War, 1585–1603*

تلخص الباحثة روح الكتاب فتقترح:

.. تحوّل السيادة عَكَسَ ترسيخ الإدعاءات الخارجية على أساس الأرض كما إضافةَ مجموعة من مطالب سلطة داخلية. سلطة الدولة تماكبت مع الإدعاء حول الأرض, والدول اعتُبرت مسؤولة عن أي عبور للحدود ذي طبيعة عدائية من أفراد مقيمين داخل حدودها. لثلاثمائة أو أربعمائة سنة العنف الذي كان سلعة في السوق العالمي, أصبح بحلول عام 1900 مرفوعا من السوق. جانيس إي تومسون: مرتزقة, قراصنة وأصحاب سيادة.

نتفق مع الباحثة في عالمية العنف فيما مضى. وفي تعيين الدول كحارس للحدود (على الورق على الأقل) وكذلك صفة العنف في الدولة. لكن نختلف معها "في رفع العنف من السوق". إن كان المقصود, كما هو واضح احتكار الدولة للعنف, فهذا الأمر صحيح فقط إلى الحد الذي يكون فيه القمع الداخلي قادرا على إيصال رسالة واضحة لإلزام السكان بضبط وتوجيهات الدولة (قدرتها على بسط سلطانها). ومن ناحية أخرى فإحتكار السلطة المركزية لممارسة إعلان ووقف الحرب عبر حدود دولية, أو القمع داخليا مرهون بافتراض سيطرة الدولة المعنيّة على السياسة التي تدفع بممارسة الحرب أو سلطة القمع على الترتيب. لقد رأينا فيما تقدّم ثغرات دستورية كبيرة في تقسيم وظائف السلطة: كيف تُصاغ مواد في القانون تخص أمورا سيادية: أولها حق القيام بالسياسة الخارجية لجهات مخفية في "الدولة". من منظور مختلف, الدولة الضعيفة عرضة لتناقضات كثيرة: فيمكنها إظهار احتكار العنف في ظل مفارقات كبيرة تنقض ركيزة الأرض التي اقترحتها تومسون –مثلا العجز عن حماية الحدود أو ردع من يخترقها؛ كما أقله مبدأ توقيت العنف (معظم الدول تحتكر حق "الرد" إن هوجمت, أي سجاليا, لكنها تعجز عن حق بدء العنف, توجيه ضربة وقائية). الضعف أيضا يشمل وجود كتل جغرافية خارج السيادة رغم أنف الدولة؛ أخيرا هناك مشكلة ليّ الذراع دون حرب مباشرة بإدخال جزئي للعنف إلى السوق (حوادث على الحدود أو ضربات في عمق البلد). الدولة القوية, إذن تحمل مفارقة السلطة المخفية, بينما الدولة الضعيفة يمكن أن تُملى سياستها الخارجية عليها (بما يشمل احتكار العنف) من الخارج, بل يمكن لأكثر من دولة أخرى التنازع على توجيه السياسة الخارجية للدولة الضعيفة. أخيرا, إن ذهب قراصنة العنف, فهل ذهب مرتزقة العنف حقا؟! وآخرا, من عمق الثغرات القانونية, إذ تستخدم الباحثة أوصافا مثل "التاج" the Crown, فعلى ضوء ما استبق من تحقيقنا, فالتاج اليوم, إضافة إلى أنه ليس التاج الأمس, فهويمثل سُلطتين آنيا: ظاهرة معلنة بترتيب دستوري (حتى لو لم يكن الدستور مكتوبا)؛ وغير ظاهرة – أي السلطة الأخرى المخفية والتي قلنا بصددها إن كل الطرق تؤدي (في النهاية) إلى التاج, الملك بالمجلس, والآن "المدينة". فمن هم كل هؤلاء بعد ثلاثين صفحة بحث؟ في رأينا, أحداث القرن السابع عشر في كل من انجلترا, ويلز, اسكوتلندا وإيرلندا تضعنا على الطريق الصحيح. وبالتأكيد جزء من الأحداث تاريخ الحرب الأهلية في انجلترا. لو حلّلنا تلك

الفترة (ثلاث حروب أهلية) التي يمثل الملكية فيها الملك تشارلز, فسنجد أنه مثل الخليفة عبدالله التعايشي في السودان, ليس هناك عادةً تعاطفٌ معه في سِيَرالتاريخ المهيمنة. بصريح العبارة هناك تحيز ضده لأن التاريخ يكتبه من يعلقون الأبطال على المشانق. لمعرفة من عزل, سجن, حاكم ثم أعدم تشارلز (لا نقصد السيّاف, بل الذين دبروا الأمر), نحتاج إلى تحليل أحد مصادر التمويل للمؤسسة الملكية في حروب تشارلز, كما من إنقلب عليه ليموّل خصمه. وبعدها نستطيع القول, هذا المطلوب لفتح المتاريس. من قُرِق<25>:

> قرئت قصة جديدة على مرفأ طيور الغرنوق الثلاثة متعلقة بأمير ويلز (إبن الملك تشارلز البكر. هزم بعد سنتين من موت أبيه في الحرب الأهلية الثالثة في عام 1651. هرب إلى المنفى, وعاد في عام 1660 بدعوة من "البرلمان" ليصبح ملكا مرة أخرى باسم تشارلز الثاني, م.س) الذي كان منزعجا من كوابيس ليلية وشوهد في النهار يبكي بشدة. لما سأله أبوه عن المشكلة, أجاب بعد إلحاح: "جدي ترك لك أربع ممالك (إنجلترا, سكوتلندا, ويلز, وإيرلندا), لكنني أخاف يا صاحب الجلالة أنك لن تورثني أيا منهن!" البابا عرض المساعدة فقط في حال اعتناق تشارلز الكاثوليكية, والمدينة لا زالت ترفض إعطاءه قرضا. وما وعد به برلمان إيرلندا من ضرائب كانت أقل بكثير من المتوقع. أمر تشارلز بتخفيض العملة, لكنه أجبر على سحب الأمر بعد نصح من أصدقائه وذعر من خصومه. في يوليو, كإجراءٍ أخير قام تشارلز بالتحفظ على جزء كبير من سبائك الفضة بالبرج (Tower of London, إنظر ص.46, م.س) والتي كانت جاهزة للصك, واعدا التجار والحكومة الأسبانية, التي يعود إليها معظم الفضة بنسبة ثمانية في المائة من الربا ... سير هنري فاين, سكرتير اللجنة, خط سطورا متعجلة تحت ضغط دفق الكلمات. "نفذ بشدة", كان ستراڤَد يقول له. "لديك جيش في إيرلندا تستطيع توظيفه هناك (أو هنا) لتحجيم هذه المملكة (أو تلك) ... إن وثقت من نفسك فلن تصمد اسكوتلندا أكثر من خمسة أشهر. إستغلال صيف واحد فقط سيؤدي المهمة. ستراڤَد سانده لوض, وبالنسبة لتشارلز فهي أول مشورة موجبة يجدها. وجد نفسه مصرا أن المشكلة لازالت في الأموال, إذ لو كان باستطاعته دفع أجور جنوده فسيمكنه إنشاء جيش يستطيع مجابهة الأسكوتلنديين. أما إذا كان بمقدوره ضبط ذكائه الإنفعالي فيقدر على تنظيم مبادرة من الفعالية بما يكفي فهذا شيئ مختلف. في الأثناء أخذ مبادرته بالإبقاء على هيئة القساوسة بالكنيسة الأنقليكانية, عكس ماهو متبع عند حل البرلمان. ولم يذهب ذلك سدى, إذ أن الهيئة منحته عشرين ألف جنيه لست سنوات. وفي نفس الوقت أعلنت الهيئة سبع عشرة مرسوما أرشدوا تعاليم الكنيسة العليا الأرمينوية. كان تحديا بلا داع .. وثبّت عزم الأسكوتلنديين, وخلق بعض الجفوة بينه وبين شعبه في مقابل ليس كبيرا إطلاقا لإعانة وضعه المالي. وعلى العكس لقد شجع الأمر على مزيد من المقاومة. رفض مواطنو لندن إقراض تشارلز الثلاثين ألفا التي طلبها, وتم سجن أربع من الشرفاء (أعيان المدينة, راجع ص.46) وعدد من جامعي الضرائب.
>
> بولين قُرق, الملك تشارلز الأول, 2001

في الإقتباس, رغم أن الوضع لم يكن قد إنزلق إلى أتون الحرب الأهلية بعد, لكنه يقدم صورة محزنة لملك في مأزق وبلا خيارات معقولة. البرلمان يتصرف كإمرأة لعوب تتمنع وتتمنع, ثم .. تخرج عن السيطرة. بعد سنة من تلك الحادثة سيجد نفسه مجبرا على توقيع

عقوبة إعدام بحق مخلصه ستراڤَد. هذه الجملة وحدها تكفي لكشف كم المتاهات الذي قد ينزلق إليه ملك في وجود برلمان يتحكم به طرف ثالث – يد ناعمة في ركن صغير من عاصمته في دفاترها ديون الأمم, في خزائنها سلاسل لتقييد الرجال. السنون عجافٌ كلها. فقد أطبق أعداؤه عليه بالتدريج. من وجهة نظر "المدينة" الإمبراطورية مراحلُ السياسة ثلاث: تحالف, عزلة, ثم حرب[27]. كمن يرى النائم, ببطئ يطالعُ مستقبله وصورته في عين التاريخ. سيجعلون منه "طاغية" في الكتب. لكنه في شدة الحرب ناجاه الشعراء: 'All things will be well when the King enjoys his own again'. وفي شدة الأسر افتقده الناس. وفي الليلة الظلماء .. كيف إنتهى الأمر إلى هذا السوء؟

على الضفة الأخرى من تناقضات الإنسانية, يُرى الرجال ذوو الأكف الزلقة. يبدون بعيون متحركة على الدوام تنعكس على قزحياتها أضواء "المدينة" في حُلة ورياش من زمان ولّى .. تصوير اللامعقول فيها يفوق درجة السخافة بمراحل: في اللباس والتقاليد. في الأسماء والألقاب. في الإحتفالات والمراسم. في المخاطبات الرسمية. رأسمال الأمة, Capital of the nation. عاصمة الضباب السياسي والقهر الإجتماعي حيث يوجد عالم مواز للقوة لا يدركه (أو ربما يتظاهر بألا يراه) جمع من الأولين, وأكثر من الآخرين الذين يأخذون السياسة إما بمثالية القديسين, أو بماكافيلية احترافية. وهناك أيضا من يفتحون أعينهم ذات مساء في خريف العمر, فيدركوا أن هناك من زج بهم في لعبة كبيرة. لكلّ ضنك وشهقة في اضطراب الروح. ولذلك يحسن للعاقل في السياسة أن يتعظ بغيره. نقفز إلى الأمام, في عانة الوقت المحلوق بشفرات الأسئلة: ماذا عن تمويل "المدينة" للطرف الآخر؟

قوات الدعم السريع الأنقلوساكسونية: تاريخ قصير لطغيان الأنقلوساكسون (2)

نتيجة الحرب الأهلية حسمها الجيش النموذجي الحديث New Model Army. فما هو؟ فيرث <26> نقلا عن Sprigge يذكر:

> عند سقوط قلعة شيربورن في 1645 م أبلِغنا بشكل خاص أن جنود فيرفاكس حصلوا على غنائم كبيرة جدا, وقاموا في غدٍ بإقامة سوق كبير باعوا فيه لأهل المنطقة ما لم يستطيعوا حمله.
>
> "النهب استمر حتى مساء الثلاثاء .. كما باع الجنود الدقيق بأسعار مجزية .. ثم أثاث البيوت الذي كان منه الكثير؛ وحُمل في عربات كثيرة .. إلى أن جاؤوا بالمقاعد, الكراسي وغير ذلك, وباعوا كل ذلك بالقطعة لأهل المنطقة. في تلك المنازل الفخمة لم يُترك قضيبٌ حديدي واحد على النوافذ (باستثناء ما أضرمت فيه النار مسبقا) قبل حلول الظلام, وآخر ما نهبوا الرصاص, وبحلول الخميس, لم تبق علبة صفيح في المنازل. وما لم يسلبه الجنود, التهمته النار".
> Joshua Sprigge, Anglia Redeviva, 1647 (تعافي إنجلترا, من اللاتينية, م.س). ذكره س. هـ. فيرث في جيش كرومْويل, 1907, ص. 193

27. نوث <16> يأخذ من تحليل لـ نيكلاس جون سبايكمان في كتاب الثاني, إستراتيجية أمريكا في السياسة العالمية وتوازن القوى.

الآن نورد بالأدلة, تورط "المدينة" في الحرب الأهلية الإنجليزية:

> منذ بداية الحرب عاني الجيش بقيادة إيرل مقاطعة إيسِكْس[28] من قلة المرتبات, ولجأ بعض الأحيان, إلى أعمال متطرفة (النهب والسلب, م.س), كما تـقدّم .. عندما أنشئ الجيش النموذجي الحديث New Model Army, تم إعطاء "مرتب ثابت" من قبل البرلمان كحافز إلى الجنود والضباط به. مرتب العسكري "لم يعد تحت رحمة جهود متقطعة لأعضاء لجنة غير متحمسة, أو جهود من تجمع حكومي أقل حتى نشاطا من الأولى. يجب تأمين المرتب بضريبة ثابتة, حيث تكون كل مقاطعة مسؤولة عن القيمة الكاملة, وحتى لا يكون هناك أيّ عقبات في مخاض تلك الماكينة النقدية الجديدة, **فقد وافقت "المدينة" على توفير دفعة أولى لمبلغ لا يقل عن ثمانين ألف جنيه** (التشديد لي, م.س).
> فيرث, ص. 196, المصدر السابق.

إن اللورد العمدة the Lord Mayor عَيْنُ أعيان "المدينة" ظله في كل مكان. فوائده شبح رعب في لعبة السياسة الحقيرة. بصمته وبصمتها في مواضع استراتيجية من كتاب "جيش كرومْويل" واللتين إستقصيناهما من جهد مقدر وجدير بالإشادة للمؤرخ سي هـ فيرث:
مراقبته في مراسلات خاصة لإفادات الجيش الميدانية في معركته ضد الملك (ص. 151)؛ خطاب مساندة للجيش من اللورد العمدة و"بعض الأقطاب من المواطنين" حين ضغط جنود الملك (ص. 215) ؛ أخيرا وليس آخرا, خيانة اللورد العمدة للجيش النموذجي الجديد (ص. 197) في مُضر الحرب الأهلية التي دمّرت البلاد والعباد, وعملت جرائم طائفية مروعة[29] وجرائم إبادة[30], وتجويع الطرف الآخر لدرجة أكل الكلاب والقطط[31]: حيث ورد <27>:

> ليلة البارحة جاء خمسة من جنود العدو قطعوا النهر سباحة .. تحدثوا عن صراخ النساء والأطفال. نتمنى أن الجوع سيضطر الناس عمل شيئ قد يدفع الجنود إلى أن يحذوا حذوهم, الأمر الذي سيسهل جهدنا في أخذ المدينة .. البارحة خرجت إمرأة ومعها أطفالها الخمس وبينهم رضيع من ثديها. سقطت عند أقدام الحرس وإستعطفتهم أن يتركوها تعبر خط الحصار. أهل المدينة, نظروا علهم يُسمح لهم بالمرور؛ لكن الحرس اضطروا لأن يدفعوهم الى الخلف .. هؤلاء الجنود (الخمسة الذين استسلموا, م.س) والنساء قالوا إنهم لم يجدوا ما يأكلونه سوى الكلاب والقطط ولم يجدوا بأسا (بسبب الجوع, م.س), لكن كل الكلاب والقطط, ومعظم الخيول أكِلت حتى شارفت على الإنتهاء.

Letters from the League before Colchester [to the House of Commons], in John Rushworth (ed.), *Historical collections, 1618-48* (8 vols, London, 1701), partt 4, p.1236.

---

28. إسمه Robert Devereux وُلـّي جيش البرلمانيين بمساندة "المدينة" ضد الملك, ثم وُلّي بعد ذلك لورد فايرفاكس وأوليفر كرومْويل
29. إنظر علي سبيل المثال John Walter, Understanding the Popular Violence in the English Revolution, 1999
30. من إطلاعي المحدود على التركة البحثية البريطانية مؤخرا, فيما يستحق الإحترام منها, هناك جهد مقدر في تقديم الوقائع والأحداث, لكن لا يبدو أن هناك إهتماما بعمق أكبر في التقصي (ذهنية المتورطين, بما فيهم "الجلاد" كرومْويل—والجهات الأخرى وراءهم). إنظر كمثال **O Siochru Micheal. God's Executioner: Oliver Cromwell and the Conquest of Ireland, 2008**. على أية حال, أوصي نفسي والقارئ بمرجع لم أتحصل عليه وذكر في أعمال أخرى؛ إذ يقدم تفاصيل دقيقة, للأكاديمي سي. إتش, فيرث بعنوان The regimental history of Cromwell's army, 1940 [1991], OUP, USA.
31. الواقعة التي ورد الإقتباس بشأنها تخص حصار مدينة كولشِسْتـَه Colchester بمقاطعة إسِكس Essex الإنجليزية.

ظروف حصار وأخذ مدينة كولشِسْتـه فصلٌ مخزي من فصول الحرب الأهلية الإنجليزية والبرلمانيين الذين خرجوا على الملك تشارلز الأول – أو بشكل أدق, الذين استُخدِموا في الخروج عليه. بيد أن هناك تدقيقا لابد أن يُعمل حتى لا تختلط الأمور: هناك فرق بين حصار مدينة لإجبار العدو, أيا يكن على الإستسلام, واستخدام التجويع كسلاح لأخذ المدينة, كما يبدو جليا مما اقتبسناه بالصفحة السابقة. ولم يقتصر التجويع (كما النهب والحرق وإهلاك الحرث والنسل) على مدينة كولشِستـه لوحدها, بل مدنا ومناطق أخرى. هناك في التركة البحثية الإنجليزية التي هي جزء من المشكلة تحيز بكل أنواع الطيف يتراوح بين مقدمي خدمات الشفاه والذين يستحقون في رأينا تسمية apologists وبين الذين يتسترون خلف البحث الأكاديمي academic scholarship لشرعنة هذا النوع من الحصار. على سبيل المثال, جايمس بيرك <28> يذكر, والإضافة بين الأقواس لي:

> رغم أن الملك تكبد هزائم عسكرية حاسمة, لم يستطع البرلمان أن يحكم بشكل كفؤ بينما لا تزال مدن وحصون ذات أهمية سياسية في يد العدو. لضمان الإستقرار السياسي, كان جيش البرلمان مضطرا (! م.س) لحصار وإخضاع عدد كبير من معاقل (الخصم, م.س) في انجلترا, إيرلندا وسكوتلندا .. بشكل خاص قامت الحرب في ايرلندا باختبار مقدرة الجيش على ضرب الحصار (التشديد لـ م.س) بشكل أشد حرجا من أي حملة قبل ذلك .. بعد تداعيات المعارك الميدانية في نيزبي Nasbey ولانقْبورت Langport قام جنرال الجيش, سير توماس فيرفاكس ونائبه أوليفَه كرومْويل بشن حملة عسكرية باهرة (! م,س) في الخريف في كل الغرب الإنجليزي, آخذا كثيرا من المدن المحصّنة بما يشمل مدينة بريستول المحمية بشكل قوي, متسببة في اجتياح دموي لـ قلعة بيسن هاوس قلعة الملكيين (أنصار الملك, م.س). بعد عطلة الشتاء, مضى (الجيش) النموذجي الحديث في عام 1646 بتمشيط الحاميات العسكرية للملكيين بكفاءة معتبرة.
>
> المصدر:
>
> James Burke, The New Model Army and the Problems of siege warfare, 1648-51, 1990, pp.1-2

التركة البحثية المتحيزة لدرجة قلة الأدب ليس فقط تسبب صداعا للباحث الجاد بسبب تشويشها الوقائع وتقديمها, كما ذكر جايمس مَلِن, لتاريخ خال من القيم value-free history. بل هناك ممن يقف وراءها ممن لا يجد غضاضة في تعكير المياه والوقوف في وجه الساعين لتقديم تاريخ أكثر صحة وإخراج الدفاتر المخجلة من السجلات. لنتذكر جيدا مع جايمس مَلِن[32] <29> في مقال على الشبكية محاولات الإعلام بريطاني (صحف الصنداي التيليقراف, الصنداي تايمز, الخ حسب رواية مَلِن) لتشتيت الإنتباه قبل سبعة أشهر من إجازة ولاية نيوجيرسي لمقرر مدرسي يدرّس "المجاعة في إيرلندا" (1845-60).

32. James Mullin, Irish Famine Education and the Holocaust "Straw Man", 08 July 2008.

ماهي محصّلة الحرب الأهلية الإنجليزية التي شنتها "المدينة" على الملك مستخدمة البرلمان؟ هذا خطاب الجنرال كرومْويل[33] بعد أن نصب نفسه كحامي حمى البلاد أمام أول جلسة لبرلمانه المتآمر في سبتمبر 1654, بعد ثلاث سنوات من نهاية الحرب:

"خزانتكم قد أفرغت وصُرفت عندما تقلدت هذه الحكومة أعباءها. كل الأساليب المؤقتة لجلب موارد قد استهلكت لدرجة بالغة؛ الأراضي بيعت, المبالغ الجاهزة صُرفت, الإيجارات, عوائد المزارع, الأراضي التي تم حيازتها, أراضي (صودرت في إيرلندا كما انجلترا ومنحت لآخرين,م.س) الملك, الملكة, الأساقفة, المطارنة والقساوسة قد بيعت. كل ذلك قد صُرف عند قيام هذه الحكومة."
كارلايل, ذكره فيرث <26> كما تقدّم.

ندين لفيرث بنبش أصل نشأة الجيش وإحصاءات عجيبة عن انفاق الجيش داخل كما خارج البلاد (المستعمرات), ومرتبات دوما تُصرف متأخرة. كان من الطبيعي لهذا البرلمان الفاشل أن يعزله حامي حمى الديار فيذهب غير مأسوف عليه. على لسان فيرث: "الطريقة التي قام بها البرلمان .. في التصرف في تلك الأراضي بغرض دفع مرتبات الجيش يحتاج لوقفة, لأنها أدت إلى نتائج سياسية مهمة في إنجلترا كما إيرلندا" (ص. 202). وكما يقول المثل, إذا اختلف اللصوص, ظهر المسروق. ترتيب أوراقنا يقول بإن "المدينة" استخدمت البرلمان وجيش الجنرال الذي أتى من ثقب المكان ضد الملك. ثم استخدمت البرلمان ضد الجيش, حيث حاول الأول حل الثاني في مارس 1647 (فيرث, ص.197). ثم إنقلب السحر على الساحر, فاستهدف الجيش البرلمان و"المدينة" معا – إذ زحف الجيش إلى لندن ولأول مرة احتل المنطقة الخاصة التي تسمى "المدينة" وجاءه اللورد العمدة مقدما فروض الولاء. لفترة قصيرة سكِر التاريخ ورأت النوافذ المفتوحة جديدا تحت الشمس. لوهلة, ابتهج الناس وأطلت الشماتة برأسها من أنصار الملك كما تقول المراجع. إنظر على سبيل المثال شْرودَه[34] <30>, فيرث[35] <31> في مؤلف آخر أسفله.

ننسى, ننسى, ننسى الفات: تاريخ قصير لطغيان الأنقلوساكسون (3)

قلنا بإن القرن السابع عشر يمثل دلتا لمَصَب روافد حرجة جدا في تاريخ الجزر البريطانية: قوانين الملاحة التي سُنّت في عهد كروميل أحدها؛ الجيش نفسه ثانيها, البرلمان ثالثها, وشركات الإمتياز (إنظر ص. 23) ضلع رابع. المهم في الأمر أن القاسم المشترك الأعظم لكل هؤلاء هو طبعا "المدينة". ويسألونك ماذا ينفقون؟ لا عفو هنا Enough said.

33. سيذهب إلى مزابل التاريخ أكثر من جنرال تآمر وساندته "المدينة" ضد أهل بلده في مشارق ومغارب الأرض .. فرانكو في أسبانيا, سوهارتو في أندونيسيا, موسوليني في إيطاليا (الذي–والمرجع لصحيفة القارديان البريطانية كان عميلا للإستخبارات البريطانية لضرب الشيوعيين الإيطاليين), والقائمة تطول.

34. إنظر John J. Schroeder, London and the New Model Army

35. إنظر C. H. Firth, The Reign of Charles I, in Royal Society Transactions, 3rd series VI, London, 1912

الظروف التي خلقت أزمة مالية حقيقية أو مفتعلة في إنجلترا ليضطر تشارلز الأول لطلب الدين من "المدينة" كما تقدّم, وأدت في النهاية إلى إعدامه ثم إطاحة كرومْويل من بعده بالبرلمان, ستعود, كما سنرى لتقض مضجع تشارلز الثاني عند إعادة الملكية Restoration في عام 1660. في حياة الأمم أزمة المال ليست سوى وصفٍ دبلوماسيّ لظروف اجتماعية بشعة. المحك هو, بمشيئة مَن تتكوّن الأزمة؟! الإنجليز, الإيرلنديون, الإسكتلنديون, سكان ويلز—الجميع تعرضوا لأنواع بشعة من طغيان السلطة في فترة الحرب الأهلية وعلى الأقل حتى عام 1660 حين عادت الملكية. الكارثة كانت في شروط عودة الملكية. إذ بموجب إتفاقية حملت إسم مدينة هولندية صغيرة وقّع تشارلز الثاني إعلان بْريدة[36]. أول المآزق كان مسألة الجرائم ضد العائلة المالكة وأنصار الملك في فترة الحرب الأهلية. هذا الأمر كما يرى المؤرخون توّج بإجازة البرلمان لما يسمى بقانون العفو والنسيان Indemnity and Oblivion Act والذي أجازه البرلمان في 29 أغسطس 1660 كما أورد تي إيتش لِستـَه <32>. ثانيها وأسوأ ما جاء به القانون هو تسويف ما سُلب ونُهب من أهل البلاد في فترة الحرب الأهلية من غير أملاك المَلَكية والكنيسة - أي بصريح العبارة لا رد للمظالم.

الظروف التي صاحبت مفاوضات عودة الملك المشرّد إلى بلاده إلى أن وقّع على إعلان بْريدة محزنة وتُفيق حتى السكران من سكرته. لن يروي هذا البحث القصة لأنها موثقة في المرجع السابق, فلنقل, ص. 467-501. سؤالنا الذي نطلب من القارئ تأمّله بعد مراجعة القصة هو كيف ضاعت القضية؟ هناك مثل في الإنجليزية يقول, follow the money, أو إقتفِ آثار النقود. المرسول الذي بُعث ردا على رسالة الملك في المنفى باقتراح على جلالته بـ "موافقة كل ما تم بيعه من أراضي التاج والكنيسة, وكل الأملاك المنزوعة ..", (ص. 497) والذي الملك (بعد أن قُتل كيف قدّر) فاوض على بعضه مشترطا في بعضه الآخر كان من بنات أفكار جورج مَنْك George Monk, جنرال الجيش الذي يبدّل القبعات أكثر من تباديل لعبة السيجة. ليس هذا فحسب, بل حُمل المرسول شفاهة كما اشترط مَنْك العجيب. وفي النهاية (رِست على شنو؟) بعد أن أعطِي الملك المشورة ووافق ووقع إعلان بْريدة, عمل أحد مستشاريه خمس نسخ بإسم الملك إلى السادة (لسته, ص.500, الهامش, أسفله):

ation was prepared by Hyde *, and five letters, in the King's name, addressed as follows: — the first to Monk, the council of state and the army — the second to the Speaker of the House of Commons — the third to the House of Lords — the fourth to Monk, Montagu, and the navy — and the fifth to the Lord Mayor and the City of London.

36. إعلان بْريدة Breda Declaration, 4 أبريل 1660. إنظر ت. هـ. لِستـَه, المجلد الأول T. H. Lister, Life and Administration of Edward, first Earl of Clarendon, vol. 1, p.501, London, 1838. الصورة أعلاه: المستلمون لإعلان بريدة, نفس المصدر, ص.500.

لدارسي التاريخ, هناك تعريف أفضل للسلطة: من لهم القدرة على إعلان الحرب والسلام. مرة أخرى, أيها السيدات والسادة, كل الطرق تؤدي إلى اللورد العمدة و"مدينته" الفاضلة؛ فاسمه موثق كأحد المستلمين لإعلان بْريدة, كما في صورة النص أسفل الصفحة السابقة.

أما المأزق الثاني للملك تشارلز (والبلاد كلها) فقد كان حرمان الملك من "الإستقلال المالي في ميزانية دولته, وإمرة الجيش" (Lister, vol. 2) <33>:

> لحجب تلك الوسيلتين الكبيرتين للحكم الطاغي عن التاج: الإستقلال المالي, وجيش فاعل؛ بالإلتزام بمبدأ مَلَكية محدودة, ولمؤازرة الحرية الدستورية.
> لستـه, المجلد الثاني T. H. Lister, Life and Administration of Edward, first Earl of Clarendon,
> <33> vol. 2, p.24, London, 1838

الملك الجديد, إذن إفتتح مُلكه كأسد بلا أظفار. وقد أدرك هو نفسه هذا جيدا. الوضع في نظر لِسته, ولا نستطيع سوى أن نتفق معه: "بسبب ذلك (مطب خلط الإنفاق الرسمي والخاص, م.س), كما الإحراج المالي الذي بدأ به حكمه, يمكن أن نعزو الكثير من الفتن السياسية اليوم", المصدر السابق, ص. 24. تشارلز نفسه أدرك هذا. "ففي التاسع والعشرين من أغسطس 1660 شكا الملك إلى برلمانه قائلا:

> عليّ أن أحيطكم علما إن ما تبقى لدي من أموال الآن هو أقل مما كان عندي لما جئتكم (من المنفى, م.س). الحقيقة أنني كنت أعيش منذئذ بشكل شبه كامل على ما جلبته معي, والذي كان بالطبع نقودكم. لقد أرسلتموها إليّ, وإنني لكم من الشاكرين. لكن الإنفاق الأسبوعي للبحرية يلتهم كل ما تعطونني بموجب قانون Tonnage and Poundage (قانون من العصور الوسطي, يعطى فيه الملك دخلا من الصادرات والواردات مدى الحياة). ولم أستطع حتى أن أعطي أخي شِلنا منذ قدمت إلى إنجلترا, ولا حتى طاولة في منزلي.
> لِستة, ص.28, كما سبق

إذا كان هناك حالة دراسية عن كيفية السيطرة على ملك فليس هناك أفضل من هذه.

نختم هذا الفصل من طغيان سلطة الأنقلوساكسون بحال العبيد الآخرين, كما تقدّم في عهد الملك الجديد. نذكّر القارئ بما قلنا في ص. 28, إذا جيلا في إثر جيل" .. كانت السلطة تستأصل ذكورة الجزر البريطانية, بالتخلص من الرجال الذين حملوا في صدورهم روح التمرد". واستدركنا بأن "هذا الكلام يحتاج إلى مزيد من التفاصيل". في الحقيقة الترويع السياسي يعتمد على تفاهم مختلف أجزاء السلطة, ظاهرا وباطنا على السياسة, وهذا طبعا يعتمد على أيّ نوع من الأشخاص هو الملك أو الحاكم. تشارلز الثاني كان ملكا مقيدا. لربع قرن من الزمان كان كـ "شُلوبِن" في رواية عنبر السرطان؛ يمشي ثقيلا كمُجنزر مشدود إلى الوراء. تشارلز 2 حلّ برلمانه المتعِب أربع مرات. وحمل أوزار قوانين

جائرة مررها البرلمان رغما عنه. أشهرها, وليس أخطرها قانونٌ الإجتماعات المتعلق بالطائفية الدينية Conventicle Act الذي أجازه البرلمان في 1664م. من بَتلر <34> نقرأ:

> طُرِد من انجلترا كريم جمع غفير من الشهداء (كناية عن تديّنهم, م.س) .. وشدّد على حظر ترحيلهم إلى فِجينيا أو نيو إنقلنْد, ومن هنا تـعَيّنَ ترحيلهم إلى جزء السكّر ذات الحرارة اللاهبة.
> المصدر<34>: James Davie Butler, British Convicts Shipped to American Colonies, p.15, in American Historical Review, Oct 1896

بَتلر, ص. 13, ذكر حالات أوائل لترحيل أسرى الحرب الأهلية من المَلَكيين: من معركتي دَنبار* (سكوتلندا) في 2 سبتمبر 1650, وَوُرسْتَه (إنجلترا) Worcester في 3 سبتمبر 1651م, حيث استغرقت رحلة البحر إلى الولايات المتحدة عدة أشهر. وفي ص.12 يورد "50,000" مُدانا مجملا كأحد التقديرات والسياق قد يخص الفترات الأوائل. بَتلر يطلعنا, للأسف على تورط تشارلز الثاني في ترحيل مُدانين بتهم سياسية political convicts بعد تمرد في اسكتلندا في عام 1678 وهؤلاء تم بيعهم في عدة ولايات في مستعمرة أمريكا لشمالية؛ وعن تفاصيل كثيرة عن سجناء إيرلنديين, وغيرهم من جنسيات أخرى بعد إنتزاع انجلترا لمستعمرات من قوى أوربية أخري كهولندا. نخلص إلى أن قانون 1667 الذي أوردناه عن جونستون فيما استبق عن بيع العبيد الآخرين صحيح بشكل عام. يمكننا الآن القول إن السنوات من 1650-1660 شهدت نفيا لآلاف السجناء السياسيين؛ بشأن الفترة التي تلتها من 1660 وحتى نهاية القرن, فالسؤال, هل قل أم نقص عدد الذين بيعوا عبيدا من المرحّلين سياسيا؟ أما بصدد القسم الثاني من العبيد الآخرين, أي عمال السخرة, نقرأ:

> لأن التبغ كان مصدر الرزق في فِجينيا, فقد أصبحت مركزا للسخرة السود والبيض معا. وكانوا كلهم عبيدا.
> المصدر السابق, ص. 18

تذكر الورقة تناقضات بين السياسة الإستعمارية للإمبراطورية والسياسة المحلية لا مجال لها هنا. لكن نذكر مفارقة تلفت الأنظار لسبب إضافي: التهجير المنظم للسكان واسترقاقهم كان دالة متطورة مع الزمن؛ إذ لم يحتج استعبادهم إلى تشريع منفصل لنقلهم في السفن حتى سنة 1717 في عهد الملك جورج الأول, حيث أجيز قانون خاص لـ ترحيل المغضوب عليهم بجبروت السلطة[37]. وبين التاريخين مر الكثير من المياه تحت سفن الجحيم. بول تشامبَه لِن <35> وصف ضحية أخرى لطغيان سلطة الأنقلوساكسون: السجين البحري[38]

---

* من بتلر, بما يشمل رسالة إلى كروموْيل نستنتج أنه, كما ما يُسمى بمجلس الدولة Council of State أمروا بترحيل الأسرى.

37. 1717: 4 George 1 c.11: An act for the further preventing robbery, burglary, and other felonies, and for the more effectual . . . transportations of felons, and unlawful exporters of wool; and for declaring the law upon some points relating to pirates. إنظر ص.51

38. Paul Chamberlain, Hell upon Water: Prisoners of War in Britain, 1793-1815

السجناء البحريون هم من حكم عليهم بقضاء فترة سجن على سفينة. ومنهم كما يورد المؤلف في كتاب جحيم على الماء: سجناء الحرب في بريطانيا, أمريكيون ممن أسرهم البريطانيون في حرب الإستقلال الأمريكية, فرنسيون وغيرهم. أهناك حوجة للدخول مجددا في اقتحام أكاديمي لمحرقة بريطانية جديدة؟ You bet. ما نَود الإشارة إليه هو نهج إنتهاك أسرى الحرب أو المقاومين للهيمنة البريطانية سواء للسلطة في بلادهم أو السلطة المفروضة في بلاد أخرى: ويشمل هذا التعذيب, الحرب الجرثومية والإيكولوجية, تصفية الأسرى غير المصابين كما الجرحى, النفي, البيع كعبيد, وغير ذلك. إنظر الجدول أدناه:

الجدول 2: الإنتهاكات البريطانية ضد الأسرى, السكان, والحروب البيولوجية والبيئوية

رقم	نوع الإنتهاك	جغرافيا القهر\التاريخ	الدليل أو المرجع
1	إغتصاب الأطفال	المستعمرات الجنائية Penal Colonies مثل استراليا ونيوزيلندة	Crime and Punishment in England, Andrew Barrett and Christopher Harrison (Ed), 1999, p.295 Ref <36>
2	أسلحة جرثومية؛ استعمار إيكولوجي: إبادة النباتات أو حيوانات تشكل حمية غذائية للسكان. أو إستجلاب حيوان\نبتة دخيلة تفسد الإيكولوجي المحلي	جلب: قارة شمال أمريكا, أستراليا , شرق السودان (نبتة المسكيت)؛ وسط السودان (شجر النيم)؛ إبادة: جنوب السودان (سمك)؛ حرب جرثومية: روسيا, العراق ضد القبائل الكردية, شمال أمريكا	Das Kapital, vol.1, Karl Marx; Guns, germs and steel, Jared Diamond; Islam in the Sudan, John Spencer Trimingham, Ref <5>; Ecological Imperialism: the Biological Expanion of Europe, Alfred Crosby
3	قتل كل أفراد الحامية وبيع الباقين عبيدا خارج بلدهم	إيرلندا. مثلا بعد اجتياح حامية Drogheda	God's Executioner, O Siochru Micheal
4	تجويع الأسرى حتى الموت في concentration camp ؛ منع المؤن من الوصول من الموانئ	البور Boers في جنوب أفريقيا (حرب البور) 1899-1902 حظر استخدام ميناء سواكن على أهل السودان, إحدى العوامل الأساسية في "مجاعة سنة ستة". العامل الثاني الجفاف. راجع إصدار الجمعية الملكية للجغرافيا	Late Victorian Holocausts, Mike Davis
5	بيع الأسرى عبيدا بعد هزيمتهم	مَلَكيين أسكتلنديين وإنجليز أسرى موقعة Dunbar, 1650, موقعة Worcester في 1651	James Davie Butler, British Convicts Shipped to American Colonies, Ref <34>
6	الغدر بالمرتزقة ضد وطنهم, الإتحاد السوفييتي لصالح الحلفاء: جيش فلاسوف Vlasov Army	1945	Gulag Archipelago, by Alexander Solzhenitsyn, vol 1, p.259-60
7	إستخدام حصار التجويع كسلاح في الحرب	في مدينة كولشستر وغيرها من المدن الإنجليزية, 1648	Letters from the League, Ref <27>
8	إتباع سياسة اقتصادية تتسبب في مغادرة مئات الآلاف أوطانهم وموت مثلهم جوعا	المجاعة في إيرلندا من 1845-1850. تفيد بعض الإحصاءات بهلاك نصف مليون إيرلندي.	المقرر المدرسي عن "المجاعة في إيرلندا, ولاية نيو جيرسي, الولايات المتحدة

كماشة الأمم: كيف وضعت "المدينة" الملك والشعب "في فتيل": ذكرنا فيما سبق تحجيم برلمان ما بعد استعادة المَلَكِية للملك اقتصاديا في ميزانيته العامة. سنرى الآن تبعات ذلك الترتيب. ننشر جزءً من رسالة إلى الملك في كتاب لستَه[39] <37>, المجلد الثالث T. H. Lister, Life and Administration of Edward, first Earl of Clarendon, vol. 3, pp.198-99, London, 1838 <199-198>

Sir Henry Bennet to Charles II [from the Bodleian Library]:

In obedience to Your Majesty's commands, I have here set down in writing what allowed me to discourse to you yesterday that the sufficiency of it may better be considered. The conclusion of all which are, that it imports Your Majesty in this conjuncture to strengthen your authority by all the means and ways the Law allows you, since the dissatisfaction towards the present Government (although God knows, very undeservedly) has become so universal that any small incident may put us into new troubles, though they should not as yet be thoroughly designed by those that wish for them. The City of London being immediately under Your Majesty's eyes, will, I make no doubt be kept quiet by those troops you have in and about it, which if occasion be will very easily and quickly double their numbers, so there be money found to pay them part of their arrears; and if need be, a regiment or two may be added to them from Dunkirk, with which not only the City, but the country too that is in any reasonable distance, may be secured. That which therefore wants a visible help is the remoter part of the Kingdom, where in this interval between the ceasing of the old and the establishing of the new militia[2], there will want a present force to quieten any disorder that may happen, and to this end it will not be easy to make any part of the troupes Your Majesty has there march, for want of money, if it could be though fit to spare them from retiring, which I think would not be advisable in this situation, when we remember what it cost us in the last rebellion, the having the City of London against us. To secure, therefore, this point, I will not only presume to set down what in my judgment must be done, but also what must be avoided, that, by balancing them both (for there appear to me to be but two remedies near at hand), it may be better judged which is the more sufficient one, and appearing to be so, it may presently be put in execution, the occasion requiring it now. And above all things, there must be avoided, by any compliance or easiness, upon whatever grounds there may be the giving the discontented parties a belief that they created in Your Majesty any fear of them; for they will effectively gain courage by it, and those that are most faithful to you will lost it, and with whom the present Parliament may (which may truly be said to be the only bulwark now between the disaffected people and the government), where, finding what they have done either undervalued or disowned by Your Majesty, will, at last become so uneasy as to oblige Your Majesty to dissolve them, which I will presume to say were one of the greatest misfortunes that could befall you, to loose them, or to need a new Parliament house before the Kingdom be better settled; and this is what I say must be avoided.

[1]: This remarkable letter, which is without date, appears to have been written between the close of session of Parliament , May 19, 1662 and the 24th of August, when the Act of Uniformity came into operation. It was probably written after the former of these periods.

T. H. Lister, Life and Administration, op. Cit., vol 3, p.198-199

إنتهى الإقتباس. لِسته يذهب إلى أن الرسالة كتبها سير هنري بينِت, أحد مستشاري الملك في 1662 أي بعد سنتين من تتويجه بعد إعادة المَلَكية. نرى المستشار يقدم النصيحة للملك في ظروف سياسية حرجة: مثلا احتمال انفراط عقد الأمن, مشكلة تأخر مرتبات الجيش (مجددا), والتحذير من خطر "المدينة" التي "ستلزم الهدوء" إن أحاط بها الجيش. ويحذره بوضوح, "لقد رأيت ما تكلفناه في المرة السابقة حين وقفت "المدينة" ضدنا مع التمرد" أي في الحرب الأهلية.

---

39. لم أتدخل سوى في صياغة النص في مواضع محدودة بصورة أسهل مما كان, لأن الصياغة الأصلية صعبة على قارئ الإنجليزية العادي. وصححت بعض الأخطاء الناتجة من أرقمة النص أو digitization. صورة من النص الأصلي في الملحق ثلاثة.

الخطأ الأساسي الذي ارتكبه تشارلز الثاني أنه ابتلع الطعم من حيث دخل في مفاوضات عودة المَلَكية. إذ عمل جهده للإقتصاص لوالده وأنصاره من الخونة من الجيش والبرلمان دون أن يعي أن "المدينة" هي الرأس الكبيرة! لكن الظروف التي انتجت تشارلز الثاني لم تكُ لتسمح بإدراكه لكل أبعاد المشكلة. فقد نُصّب ملكا على اسكوتلندا في التاسعة عشر – بعد أيام من إعدام والده في لندن (الذي مات وحمل آلام وخيانات المدينة معه). وخاض حربا في عمر 21 (الحرب الأهلية الإنجليزية الثالثة والأخيرة) ضد جيش الإنقلابيين على أبيه, أي جيش كرومْويل. بعدها هرب (الأقرب للمنطق, سُمح له بالفرار) وعاش منفيا تسع سنوات. ماذا عن الجنرال جورج مَنْك قائد الجيش بعد موت كرومْويل الذي ابتدأ المفاوضات برسالة شفهية إلى الملك في المنفى؟ لِسته <32> يخبرنا أن هناك ألف علامة استفهام حول هذا الرجل؛ مثلا, في ص. 489: "في فبراير (قبل شهرين من إعلان بْريدة, م.س) كان مسلكه لا يزال مبهما". وماذا عن مستشاري تشارلز 2؟ إن المُلك ليس ملكا أو ملكة وحسب, بل هناك دوما أشخاصٌ حول صاحب الجلالة. وهؤلاء إما ساعدوه في عبور الخطوب, أو أوردوه موارد التهلكة. كما يقول الفرنسيون, l'environnement sera ou sera pas: البيئة قد, وقد لا تؤثر. "المدينة" تآمرت ضد الملك في الحرب الأهلية, وتلاعبت بالجميع. وها هي الآن تعود لتؤرق الملك كما رأينا في الرسالة, إلا أنها لم تتمكن منه تماما. في غياب بيروقراطية مركزية لإقراض الدولة كان لا يزال للملك هامش حرية في لعبة البرلمان والعسكر التي تحركها "المدينة" من وراء حجاب. لكنه هامش وحسب, إذ يستطيع في أسوأ الأحوال حل البرلمان. لكنه بلا إمرة الجيش (ص. 39) كفارس بلا جواد. من تاريخ الرسالة المذكورة في 1662 ست وعشرون سنة تمضي في ضمير الزمان قبل وقوع إنقلاب على الملك الشرعي (مرة أخرى) جايمس الثاني ويُحسم الأمر هذه المرة لصالح "المدينة" في إثر ما يسمى بالثورة الأبية The Glorious Revolution. ودون تطويل, في نهاية الثورة, فُتح المجال لمَلِك جديد للجزر البريطانية, هولندي هذه المرة إسمه وليام البرتقال William of Orange. النتيجة النهائية للحروب الجديدة للملك المجلوب: إفلاس البلد وتوقيعه على مرسوم ملكي لإنشاء بنك انجلترا[40]. هكذا أحكم الأخطبوط الخناق بالذراع الأكبر: بيروقراطية مركزية لإقراض الدولة خارج سيطرة الدولة. لكن هذا التحليل المقتضب, وإن استهوى هواة الملخصات, فلن يشفي غليل الباحثين عن الحقيقة. قصة إنشاء بنك إنجلترا تشيب لها الولدان.

بحوث رصينة في التاريخ أم مسدسات للإيجار: العباقرة وراء إنشاء بنك إنجلترا

جاء في مقدمة كتاب تاريخ بنك إنجلترا لأندِرْيادِس<38>, أستاذ العلوم السياسية بجامعة أثينا:

40. والعجيب أنه وُلد وأعطي مع ميلاده صفة وطنية متخذا إسم البلاد ولا أقل, بينما هو شركة خاصة. تابع القراءة.

صعُب الأمر في حالة بلد كإنجلترا حيث يُهتم أكثر بالحقائق من النظريات. من هنا, فيما يتعلق بأمور معيّنة, خاصة التي تطرأ في نهاية العمل, في غياب ما يدعم رؤيتي الخاصة لرأي إنجليزي يتم تقديمه, فقد آثرت أن أقصر نفسي على ذكر الحقائق بدل الشروع في نظريات يمكن دحضها مستقبلا

Andréadès, History of the Bank of England, vol. 1, Trans. By Christabel Meredith, London 1902

ورغم ذلك الحياد المعلن فثمة مواضع حيث يطل التحيز الصارخ برأسه. الحقيقة الكبرى المقدمة للقارئ هي "أن المدينة واقفة بقوة ضد الملك". لكن الصورة المرسومة لتشارلز الأول هي صورة طاغية مفتعل للمشاكل, سعيه للمال والمزيد منه فوق كل اعتبار:

لتحليل هذه الحادثة جيدا, يجب باختصار استعادة الوضع السياسي في الأذهان. تشارلز الأول الذي كان حينها ملك إنجلترا[41] اعتلى العرش موقنا ليس فقط بالنظريات السياسية لأبيه, لكن عازما بقوة على ممارستهن عمليا. لتنفيذ تلك الأفكار, اللائي اعتمدن على نظرية الحق الإلهي, ومن ثم المَلَكية المطلقة, كان لابد من وجود جيش متأهب (بأمر الملك, م.س). وللإحتفاظ بهذا الجيش تأتي الحوجة للنقود.
أندِرْيادِس, المصدر السابق, ص. 14

لعل بعض القراء يذكرون الطريقة السلبية التي قدّمت بها "نظرية" الحق الإلهي في مقرر التاريخ المدرسي. الكاتب هنا, وبعد تصريحه على رؤوس الأشهاد أنه معتنٍ بالحقائق أكثر من النظريات, ها هو يُقحم النظريات في النص, ويقرنها كذلك بشخص الملك. وليتها حتى نظريات تشارلز نفسه, بل ورث ذلك التنظير من أبيه من قبله. ما يريد الكاتب الإيحاء به بشيئ من سوء النية, هو الجمود العقلي لنسق التفكير عند الملوك (ما أشبه الإبن بأبيه), ومن ثم يترك ذلك الإنطباع في عقل القارئ. في نفس الوقت, تُقدّم "المَلَكية المطلقة" كفكر رجعي يعشش في مخ تشارلز ويبدو مزعجا لكل محبي الحرية. إذن والبديل؟ هذا بالطبع إيحاء آخر, باعتبار ما نعرف الآن, أي الملكية الدستورية مثلا. يستطرد الكاتب:

بعد حلّه لبرلمانَيْن واستدعائه لثالث, عقد (تشارلز, م.س) العزم على حله كذلك وألا يستدعي آخر نهائيا. نظرا لتدبير وَنتْوَث النادر, الذي اشتهر أكثر بلقبه, أي سترافَد[42] إستطاعت إنجلترا أن تعيش لفترة أحد عشر عاما في نظام ملكي مطلق.
المصدر السابق, ص. 15

الكاتب هنا, بقدرة قادر, نسي أن يضيف لوصفه العجيب لتلك السنوات الإحدى عشرة, أنهن كُنّ كذلك أطول فترة سلام واستقرار في تاريخ الجزر البريطانية في القرن السابع عشر!

41. فعليا, نُصّب تشارلز ملكا كذلك على اسكتلاندا وإيرلندا عند اعتلائه العرش في 1625, وهي حقيقة لا يذكرها بروفيسور أندِريادِس, م.س.

42. صادفنا سترافَد مستشار الملك الأمين في ص.33 في تحفظ تشارلز على سبائك الفضة ببرج لندن.

إذ لم تخض البلاد أيّ حرب خارجية بعد توقيع تشارلز إتفاقية سلام مع كل من فرنسا واسبانيا. إن إستغناء الملك عن البرلمان وتخفيضه للإنفاق العسكري الأرعن تصفه الرواية المهيمنة بحكم الإرهاب Rule of Tyranny, وحكم الفرد Personal Rule. نمضي مع الكاتب ونرى معه تفاصيل القرض الذي طلبه تشارلز 1 من "المدينة":

الحوجة الماسة للمال لم تنقص أبدا. لم تكن الضرائب كافية لدفع تكاليف الجيش, ولردع غزو وشيك, فتم اقتراح (طلب, م.س) قرض. لتحصيل القرض تقدمت الحكومة بطلب إلى ملك اسبانيا, البابا, ولندن المدينة. رفض البابا طلب الـ £400,000. واشترط البابا للمساعدة أن يتحوّل تشارلز الى الكاثوليكية. "المدينة", الواقفة بجلاء ضد الملك, قررت ألا تساعده*.

(*هامش المؤلف): لكن عندما استُدعي البرلمان قامت المدينة بتقديم قرض صغير, رغم أنه دفع فقط على أقساط

المصدر السابق, ص. 17

ويستطر المؤلف:

موشكا على الإفلاس, وخاشيا من سوء المنقلب, وضع يده على مائة وثلاثين ألفا من السبائك التي أودعها تجار المدينة في البرج. تلك السبائك قدمت من اسبانيا, وكانت منتظرة أن تشحن إلى ميناء دَنكيرك الذي كان حينها لا يزال تابعا لأسبانيا. يمكننا أن نتخيل إستهجان التجار – هذا التحفظ, فوق الخسارة الآنية – مثّل نهاية تجارة السبائك التي ازدهرت حينها. اجتمع التجار وصاغوا احتجاجا قويا أرسلوه إلى سترافَد. أجابهم بأن تلك الخطوة ما كان لِيُقدَم عليها لو لم يرفضوا إقراض الملك . ...

قبل الحكم على تشارلز, فلنتذكر موقفه: "كان الخصم وقحا وصلفا, الجيش فاسد ومحبط المعنويات, البلد متمردة ومتعاطفة مع المتمردين .."

كالغريق الذي يتشبث بِقَشّة, ارتكب تشارلز حماقة تلو أخرى, وكل حماقة جديدة أسوأ من سابقتها .. لكنّ أخذ السبائك كان أمرا حرجا وإستثنائيا, ولم يكن له عذر يبرره حتى كسابقة.

يستطرد الكاتب في "إقتباس" أورده ماكلي-يود[43]:

كما يقول فرانسِس: "إذا كانت السياسة ذات النظر القصير من ملوك انجلترا السابقين بابتزاز اليهودي واللومباردي (مقاطعة في إيطاليا, م.س), فعلى الأقل كانوا يستدينون من رعاياهم. وقد أكمل تشارلز الناقصة بنهبهم". من الإنصاف (والكلام لـ أندرِيادِس) على أية حال بشأن "الرعايا", أن "تشارلز المتحضر" كما يصفه السيد فرانسِس بلغة الإستعارة, لم يكن من يخلص له أكثر من تجار المدينة ذاتهم, الذين كما يُتوقع منطقيا لم يحسنوا استقباله, لم يُظهروا ولعا بدفع الضرائب**, وفي الصراع المقبل سيكونون أكبر مساند لأعدائه.

المصدر السابق, ص.19-20

43. Henry Mcleod, Theory and Practice of Banking, London, 1906

** المؤلف يشرح هذه الجزئية في هامش الصفحة التي أتينا بالإقتباس منها. إنظر الصفحة المقبلة.

وبصدد جزئية قلة حماس التجار لدفع الضرائب (وكأن هناك تجارا في هذه الدنيا شغوفون بدفع الضرائب), يشرح الكاتب على هامش الصفحة: "هذا على الأقل ما زعمه الملك, عندما استدعى "اللورد العمدة" والشرفاء (أعيان المدينة) لتقصيرهم في دفع الضرائب .."

كما نقول في الإنجليزية, Sorry, but this is not educational. عند كل منعطف حرج بين تشارلز الأول والخصوم, نجد المؤلف يأخذ رأي أعداء الملك ومنتقديه, وليس منتقديه وحسب, بل الذين يفجرون في الخصومة معه. بينما يقول عن كلام تشارلز, 'زعم'. أما بصدد تجار "المدينة", فلم يكونوا كلهم يهودا كما يلمح أندِرْيادِس في استنتاجه الأخير في جزئية تقاعس التجار عن واجبهم الضريبي. في كل الأحوال, فهذا خلط للأوراق. في رواية يولِسيس لجايمس جويس James Joyce, نسترجع تعريف ستيفن ديدالوس للتاجر:

A merchant is someone who buys cheap and sells dear, Jew or gentile, is he not?

التاجر هو من يشتري رخيصا ويبيع غاليا, يهوديا كان أم من الأغيار, أليس كذلك؟

كما ذكر مَلِنِ, يبدو أن أندِرْيادِس, مقتديا بالإعلام البريطاني استخدم the strawman argument لإقحام دين التجار, بدل مصالحهم الطبقية ليعفي نفسه من مساءلةِ حقيقةِ تقاعُسهم عن دفع ما عليهم من ضرائب. نورد هنا دليلا على صحة "مزعمة" الملك. أيذكر القراء الجنرال المشبوه جورج مَنْك؟ ذكر لِسته <32> عن موقف تجار "المدينة" من تلك المسألة الوطنية:

"لقد (أيْ مَنْك, م.س) أثبت مُسبقا إخلاصه للبرلمان, وإن شاؤوا فسيقدم لهم المزيد من الإثباتات" لقد أخذوه على محمل الجد, وطلبوا منه تقريع مواطني لندن[44] الوقحين, الذين رفضوا رسميا دفع أيّ ضرائب جديدة يفرضها برلمان غير دستوري هم غير ممثلين فيه.

لستـه, المجلد الأول, ص.489 T. H. Lister, Life and Administration of Edward, first Earl of Clarendon, vol. 1, p.489, London, 1838

إذن مؤلف 'تاريخ بنك إنجلترا' لا يبدو أنه مهتم بمراجعة تاريخية, ناهيك عن تحليل طبقي لمصالح التجار. ها نحن أمام حالة مثيرة للإهتمام. ليس هناك حتى ملك في الصورة. ومع ذلك تحجَّج التجار بلادستورية البرلمان كي يتهربوا من ضرائب طلب منهم دفعها. أما عندما كان الملك حيا بشحمه ولحمه ولم يضرب عنقه بعد, فقد تهربوا من مسوؤلياتهم ولكن بحُجة مختلفة. لدينا في السودان مثل: "إنتو الإستهبال ده قالوا ليكم كيف يعني؟"

على أية حال, نختتم هذه الرحلة الموجزة داخل نص يبدو أنه مهتم أكثر بأجندة ظلامية (ربما من المريح جدا لأصحاب المصالح أن يكتب بروفيسور يوناني متدثر برداء العلمية تاريخ بنك انجلترا كشخص محايد. باحث أم قلم للإيجار؟) من نبش الحقيقة. نعود الآن إلى موضوعنا؛ ما هي الظروف ومن هم الأشخاص الذين ارتبط بهم انشاء بنك انجلترا؟

44. تاريخيا مواطنو لندن Citizens of the City of London هم واللورد العمدة على رأسهم يمثلون "المدينة", م.س.

الرواية الرسمية أن اسكوتلنديا اسمه ويليَم باتّسون كان العقل المدبر وراء إنشاء البنك:

> في حوالي 1685 ذهب باتّسون إلى أمستردام- رئاسة حزب Whigs[45]. يبدو أنه شارك في الحركة الثورية في 1688 .. علي أية حال, كان ككثير من المشتغلين بالسياسة من المترددين على المقاهي. بعد الثورة استقر به المقام في لندن, حيث أصبح من عِلية القوم. في 1691, قام مع مايكل قودْفري وتجار آخرين من لندن باقتراح إنشاء بنك إنجلترا ... كان باتّسون أكبر الدافعين لهذا التصور, لكن رغم جهوده المتكررة, لم يتسنّ له النجاح لمدة ثلاث سنوات ... وفي عام 1692 (الهامش 46 أدناه, م.س), كان الشاهد الرئيسي أمام لجنة البرلمان المكلفة لاستلام إقتراحات لتوفير إمدادات[46] .. عندما أنشئ البنك أصبح باتّسون المدير .. لكن البنك لم يحقق طموحاته كليا, واستقال بعد سنة, بعد اختلافات مع زملائه.
> أندِرْيادِس, سبق ذكره, ص. 61

المثير للإهتمام, رغم أن أندِرْيادِس ذكر عددا من الملابسات لخلفية وتداعيات استقالة باتّسون, قائلا "إن السبب الحقيقي لاستقالة باتَسون يظل غير معروف". إلا أنه يبدو قد اقتنع ببساطة بما قدمه باتّسون من أسباب للإستقالة. يقول أندِرْيادِس: "يبدو إيجاد تلك الخلافات سهلا بالنسبة لي إذا ما تذكرنا إختلافات الشخصية والتدريب المالي الذي ميّز باتَسون عن زملائه" ... " كان باتَسون عبقريا, جسورا إلى درجة التهور, مسارعا في التصدي لأعمال صعبة, ومتقبلا لأخطار تجارب لم تتوفر الخبرة لأدائها .." (ص. 62).

بقية كلام أندِرْيادِس لا يفيدنا في شيئ, ففي النهاية كما نفهم منه كان رائدا في تأسيس البنك ثم مضى في سبيله. بخصوص عبقرية باتّسون, نجد أن كلابَم,<39> يقدم رأيا مختلفا:

> كان رحّالة, وربما مثل كثير من الاسكتلنديين دلاّليا (بائعا متجولا) ضل طريقه إلى التجارة. إذا ماكان هو فعلا وراء المقترح النهائي لبنك إنجلترا, أم مجرد بوق لمجموعة من "المدينة", فلا نستطيع أن نجزم. ليس هناك أدنى شك حول وجود هذه المجموعة. في تعاملاته الأخيرة مع البرلمان كان على باتّسون أن يراجع تلك المجموعة التي قام بتمثيلها في تاريخه.
> John Clapham, The Bank of England: A History, vol 1, p.14-15 London, 1945

45. يبدو أن أصل التسمية كلمة في لغة الغال, Gaelic من مفردة whiggamore وتعني "شخصا من غرب اسكوتلندا من المعارضين لحكم الملك تشارلز الأول في عام 1648". الحزب الذي تأسس بحلول عام 1680

46. هذه جزئية حرجة لم يوضحها الكاتب. فيما يسمى بحرب السنوات التسع The Nine Years' War بين فرنسا من جهة, وانجلترا وعدد من القوى الأوربية. استمرت الحرب من 1688 (بداية ما يسمى بالثورة الأبية, راجع ص.43). تسببت الحرب في أزمة مالية لحكومة الجزر البريطانية أثناء الحرب (كل هذا قبل الإتحاد وإنشاء المملكة المتحدة في 1707م). اضطر ذلك الحكومة, حسب الرواية الرسمية لدراسة عدة وسائل لعلاج الأزمة. ذكر أرشيف مجلس العموم البريطاني تحت بند ways and means: "تقرر, إنشاء لجنة لإستقبال مقترحات لجمع لمبلغ معيّن من المال لإستمرار الحرب ضد فرنسا". المصدر Journals of the House of Commons (JHC), vol. 10, 630-632: https://www.british-history.ac.uk/commons-jrnl/vol10/pp619-621 . يبدو أن المؤلف أعلاه أخطأ قليلا في تاريخ المقابلة, إذ يفترض كونه في 1693. إنظر كلابَم <39> أعلاه. ثم في الصفحة المقبلة.

أما بشأن استقالة باتَسون, فيذكر كلابَم:

> إن السهولة التي أزيح بها من منصب المدير بعد أقل من سبعة أشهر من الخدمة, يرَجّح أن ما يملكه من نفوذ ليس أكثر من دور ثانوي, رغم أنه من الممكن جدا أنه من قام بتزويد الأفكار الرئيسية إلى قودْفري, الإخوة هاوبلون الثلاثة ... سير ويليَم سكاون, سير قِلبِرت هيثْكوت, ثيودور جانسِن, وعدد من نافذي "المدينة" من مجموعة المدراء الأصليين.
> المصدر السابق, ص. 15

للقارئ أن يقارن بين ما اقترحه أندِرْيادِس وما رجحه كلابَم. على كل حال, غير فرضية أن "المدينة" تعمل دائما من وراء آخرين, فشروط إنشاء البنك هي بيت قصيدنا, وفي هذا الإطار يقول كلابَم:

> مَثَل باتَسون أمام لجنة مجلس العموم في يناير 1693 للإفادة بصدد مقترحات لجمع أموال. كان اقتراحه أن تُجمع الأموال عن طريق "محفظة بفائدة غير منتهية" fund of perpetual interest, بدلا عن أن يجمعها عن طريق قرض لفترة محدودة.
> المصدر السابق, ص. 16

نسجل ملاحظة: رغم أن المؤسسين لإدارة البنك كانت أسماؤهم معلنة, ومنهم باتَسون, إلا أن المالكين لهذا المشروع النجيب, بنك إنجلترا لم يكونوا معروفين, وربما لا يُعرفون رسميا إلى اليوم. تماما مثل الفرق بين مدراء الشركات ومالكيها. ما يهمنا فوق ذلك هو أن حكومة الجزر البريطانية وافقت على فكرة دين بفائدة إلى يوم القيامة. والنتيجة بعد ثلاثمائة سنة تمويل أن الدولة البريطانية مدينة بحوالي ترليوني جنيه (أي ألفي بليون) تنقص أو تزيد. المصدر مكتب الإحصاءات الوطني في بريطانيا ons.gov.uk

كيف انتهينا إلى هنا؟ وكيف يمكن لأمّة أن تدعي الحرية وهي مكبلة بديون كهذه, ناهيك عن أن تتعالى وتفرض الوصاية على حريات الآخرين؟ في ختام هذا الشوط, كلمة تحذير من أحد الذين ذهبوا إلى جحيم "المدينة" ثم عاد ليروي القصة؛ ذكر فَنسنت سي. فِكرز في كتابه, هموم إقتصادية <40> Economic Tribulations:

> يتم تدبير القروض للدول الأجنبية في لندن المدينة بلا أي اعتبار على الإطلاق لخير الأمة, لكن فقط لزيادة مديونيّتها, التي تمكّن "المدينة" من الإزدهار والمزيد من الغنى. عندما تعجز الصناعة المنتجة عن الوفاء بالتزاماتها تفشل وتصبح مفلسة. لكن عندما تعجز الصناعة المالية, يُجبر الشعب كله على عمل تضحيات لأجل إنقاذ "المصالح المالية". إذا استطاعت الصناعة المنتجة إخراج ربح السمسار الذي يتدخل في البيعة, والبيع مباشرة للمستهلك الفردي لبضاعتها, فسيتبع ذلك طلب آني من كل أنحاء البلد لمزيد وأكثر من الإنتاج, ليرفع بالضرورة من توظيف العمالة, ومن ثَم تخفيض الضريبة. لكن للأسف هذه حالة نموذجية غير عملية ومستحيلة. أولئك السماسرة, أولئك العملاء, أولئك المؤمّنون والمخدّمون, محترفو تبديل العملة والمعادن, مقرضو المال, بيوتات السندات, البنوك وشركات التأمين - هولاء المستثمرون لا يصنعون أي

شيئ. إنهم المحلـّقون فوق خلية النحل الوطنية يعيشون ويعتمدون على عسل يجمعه الآخرون. مثل الذين لا يعملون, يتم مساعدتهم على حساب الأمّة.
فنسنت سي. فِكرز Vincent C. Vickers, Economic Tribulations, London, pp.41-42, 1942

دائرة المعارف البريطانية <41> على الشبكة الإلكترونية, ذكرت ما يلي بشأن بنك انجلترا:

تعرّض البنك للتهديد بسبب اللااستقرار الإقتصادي المتزامن مع الثورة الفرنسية وحروب نابليون, لكن إشتد عوده إلى حد كبير في ذات الوقت بسبب ما عمله في جمع أموال لمساهمة (تورّط؟ م.س) بريطانيا في تلك النزاعات.
المصدر: https://www.britannica.com/topic/Bank-of-England

هذا الإقتباس يشير لفرضية تورط الحكومة البريطانية (مرة أخرى نذكّر القارئ بالفرق بين حكومة بريطانيا العظمى[47] Government of Great Britain والحكومة البريطانية. إنظر ص. 21, ص. 25, وص. 26 من هذا البحث), أو الإمبراطورية البريطانية, أو "الملك بالمجلس", أو "المدينة"[48] في الثورة الفرنسية وتغيير الأسرة المالكة والنظام الدستوري في فرنسا. هذا بحث متروك لكاتب آخر. أو قارئ آخر.

47. إستخدمت في هذا البحث بريطانيا العظيمة مرة واحدة كترجمة لـ Great Britain, أي الرقعة الجغرافية الخاصة بالمملكة المتحدة. لكن بشكل منفصل يجب التنويه لوجود Greater Britain كمقابل لـ بريطانيا العظمى" أو "بريطانيا الكبرى", وهي مفردة مختلفة أول ما نشأت حسب بحث قرِفِث <42> Imperial Culture in Antipodean Cities, 1880-1939, لتشمل كذلك الولايات المتحدة كـ "شعب لغته الإنجليزية", ص. 1. وذكرت في أعمال مختلفة "بعد إنشاء المعهد الملكي للإستعمار Royal Colonial Institute" في عام 1868, منها دِلكه <2> الذي ورد في افتتاح البحث وفي مواضع أخرى منه. لكن كما ذكر قرِفِث فالمفردة تطورت بعد ذلك لإستبعاد الولايات المتحدة من الهوية البريطانية, أو "Britishness", قرِفِث. في بعد مواز في بحثنا هذا هناك أيضا تسمية الأنقلوساكسون كأحد محاور البوست في نسق الهوية وأيديولوجيا الإستبعاد والتلاعب. نخوض في هذا الأمر فيما سيلي في قسم "الألـْمَنة", إبتداء من الصفحة التالية.

48. وكيلا يختلط الأمر, فننوّه إلى أن اللورد العمدة The Lord Mayor of London , ليس عمدة لندن, أي ليس the Mayor of London وطبعا هذه إحدى إشكالات التسمية, ومخاطر التلاعب باللغة في الإنجليزية, سواء عن عمد أم غير ذلك. إذ في زمننا هذا لندن في الحقيقة مدينتان, لندن الكبرى, أو Greater London, و"المدينة" the City التي هي ركيزة هذا البحث والجزء غير الظاهر من السلطة في المملكة المتحدة. "المدينة" لها شرطة منفصلة وهناك طبعا الأخطر. لأنها الجزء الوحيد من الرقعة الجغرافية للملكة المتحدة التي ليس للبرلمان البريطاني سيادة عليها. إذا عمل أي شخص كوبي بيست من جهاز موبايل أو في منتدى فيُرجي للإحتياط نسخ العربي والإنجليزي كلّ في سطر منفصل حتى لا يحدث لبس.

الألْمَنَة (جدادة الخلا)؛ تاريخ أقصر لطغيان الأنقلوساكسون: (4)

في 1714 وجد الإنجليز وبقية أصحاب الجزر البريطانية أنفسهم أمام ملك من بيت هانوفر الألماني. لم يكن الزواج الملكي من خارج الجزر شيئا جديدا. فقد تزوج ملوكٌ من أصقاع شتى ومعظم الملكيات الأوربية لديها أواصر قربى مع جيران أوربيين. الإستثناء والمثير للجدل هو ملابسات الثورة الأبية (ص. 43)؛ إذ نُصّب ملك هولندي هو ويليام البرتقال بعد "خلع" جايمس الثاني الذي لجأ إلى فرنسا. لكن أن يتغير البيت المالك (آل ستيوَرت) فيأتي ملك يُعطى العرش وذريته من بلد أجنبي فوق رؤوس العباد؟! ما الذي يجري يا هذا؟ ما جرى أن الإنجليز لم يقبلوا بهذا الملك النازل بالباراشوت من الشمال الهانوفري لألمانيا, فـ .. تمردوا. هذا فصل شبه منسيّ من التاريخ. ليس بيت القصيد في الأسرة المالكة الجديدة كأشخاص, لكن المشكلة في الذين أتَوْ بهم وفرضوهم بالقوة على الشعب. نِكَلاس رودْجَرْز <43> يقول في بحث بعنوان الإحتجاج الشعبي في بداية العهد الهانوفَري بلندن:

> أعمال الشعب والمظاهرات المتعلقة بإعتلاء آل هانوفَر للعرش لم تلقَ ما تستحقه من اهتمام إلا نادرا. رغم عودة قوية للإهتمام بالإحتجاجات الشعبية, إلا أن معظم الأعمال عن السخط الواضح الذي صاحب السنوات الأولى من عهد الملك جورج الأول كانت انطباعية وحكَواتية. في الشائع جنح المؤرخون إلى خلط الغضب الشعبي بأزمة اعتلاء العرش بين السياسيين في طابق السياسة العلوي, وافترضوا أن الاحتقان حرّض عليه متطرفو حزب Torys سعيا لتشويه حزب الـ Whigs وإسقاط بيت هانوفَر. أما فرضية أن يكون الغضب الشعبي عائدا إلى أشواق جماهيرية مستقلة في الشارع فقد تم التغاضي عنها.
>
> Nicholas Rogers,. "Popular Protest in Early Hanoverian London." *Past & Present*, no. 79, 1978, pp. 70–100. *JSTOR*, www.jstor.org/stable/650249. Accessed 5 Oct. 2020.

نذكّر أن إفادة رودْجَرْز في أواخر سبعينات القرن المنصرم. ويمكن أن نبقى معه في حدود تاريخ نشره للبحث. نهتم بأمرين في إطار قمع السلطة لشعبها: أولا قانون الشَغَبْ Riot Act الذي مرره البرلمان في يوليو 1715, وسرى العمل به من 1 أغسطس 1715:

> بموجب مواد التشريع الجديد, المشاركون في أعمال شغب ويبلغ عددهم إثني عشر أو أكثر مُعرضون للمحاكمة بجناية توجب الإعدام (!, م.س) إن لم يتفرقوا في غضون ساعة من إخطارهم رسميا بالتفرّق. فوق ذلك, أمناء المحكمة the magistrates والذين يأتمرون بأمرهم مبرّؤون أثناء أدائهم لواجبهم إذا حدث موت أو إصابة للمشتركين في الشغب. بكلمات أخرى, مفهوم توسيع الخيانة (constructive treason) أضيف إليه تعريف أوسع للشغب كجناية تُعاقب بالإعدام, والتي تجاهلت تماما أيّ اعتبار للمظالم الجماهيرية مهما يكن مبررها. لقد كان هدف القانون واضحا, الإلتفاف حول سُلطة المحلفين the juries؛ توسيع صلاحيات سلطة المحكمة, التي أصبح مهيمن عليها المتعاطفون مع الوزارة؛ ولتوسيع الفرص للإرهاب القضائي وتسريع القمع للشغب العام.
>
> رودْجَرْز, المصدر السابق, ص. 75

خلفية قانون الشغب, التي إحدى ركائزها الرئيسية بغض الإنجليز للمَلَك الأجنبي (وإن كان برابطة الدم من ذوي الأسرة المالكة) تستحق وقفة. فلم يكن الملك الجديد غافلا عن المعارضة الشعبية:

> لقد أخبِر بصفة شخصية إلى أي مدى بلغت حدة الحركة التَورية[49] Toryism عند الشعب عند عودته من مأدبة عند اللورد العمدة في أكتوبر (1714, م.س) عندما واجهته مجموعة من الجماهير صارخة في وجهه, "أورموند, لا لـ مارلْبَرَه"
> [British Library] BL. Add. MS. 22202, fo. 212 [does not appear in the online serach engines ; might have since been archived differently, my note, M.S], in Rogers, p.71, op. cit.

يذكر رودْجَرْز <43> أيضا أن:

> المؤرخين مالوا لتجاهل الجوانب السياسية لقانون الشغب, واعتبروه توضيحا لزخم من القوانين المعقدة مثلت شدتُها المحتَمَلة صدمة للضمير العام... بينما الحقيقة أنه (القانون, م.س) كان ردة فعل لوضع سياسي بالغ الدقة توقفت عليه مصداقية الحكومة.
> رودْجَرْز, سبق ذكره, ص. 79

فيما يبدو أنه الإستثناء دون القاعدة حول المؤرخين, يضيف رودْجَرْز على هامش الصفحة:

> بازل ويليامس يربط قانون الشَغَب بالبغض الشعبي المتزايد لآل هانوفر, لكن تحليله موجز جدا: بازل ويليامس*, صعود الـ Whigs, 1714-1760 م, ص. 8, أوكسفورد, 1962. المؤرخون الأحدث يميلون لتجاهل القانون تماما.
> رودْجَرْز الهامش 19, ص.79 كما تقدّم.

هذا البغض والغضب الشعبي المتعلق بتبديل البيت الحاكم رغم أنوف العباد وراءه قصة طويلة لا مجال لها هنا. لكن للقارئ أن يطالع كتابا آخر لويليامس <44>, الذي نختار منه:

> العميد جورج (ترجمتي لـ Elector. لقب ألماني للرجل الذي سيصبح في 1714 في انجلترا الملك جورج الأول,م.س) لم يكن مستعدا لإنفاق أموال على أي من تلك الأعمال, خيالية أم غير ذلك مما اقترح عليه الـ Whigs ... أحدها كان أنه يجب عليه شراء مقاعد في البرلمان (! م.س) لأنصاره من الـ Whigs (الإنتخابات جرت في العام المقبل, 1715 واكتسحها Whigs, م.س)
> المصدر: Basil Williams, Stanhope: A Study in 18th Century War and Diplomacy, Oxford, 1932

49. بالتاء؛ من حزب التَوريين Torys. تأسس في 1689 لمواجهة الـ Whigs الذين كانوا فاعلين في الإطاحة بملك البلاد جايمس الثاني وتنصيب هولندي (بقدرة قادر) هو وليام البرتقال (مذكور في عدة مواضع في بحثنا) وزوجته ماري التي كانت من الأسرة المالكة فيما عرف تاريخيا بـ "الثورة الأبية". التَوريون دُمّروا تماما, وتم دمجهم مع أعدائهم الـ Whigs لتكوين حزب المحافظين the Conservative Party. "المدينة" في رأينا هي القوة الحقيقية لصناعة, تبديل كما "توجيه" الأحزاب في بريطانيا. وليس بريطانيا فقط بالتأكيد. هذه "الثورة" تتنازعُ علاماتُ الإستفهام عليها. إنظر الهامش * أدناه.
* رودْجَرْز يذكر عملا آخر لبازل ويليامس<44>, هو, ستانَب, دراسة في حرب ودبلوماسية القرن الثامن عشر, Stanhope: A Study in 18th Century War and Diplomacy سنتطرق إليه الآن.

إن مسألة شراء مقاعد والتلاعب بالإنتخابات, حتى كفرضية قد تصدم بعض القراء؛ لكن "ليس في الأمر عجب" ولو كاحتمال يقبل الوقوع. أساليب الجزء غير الظاهر من السلطة كانت من الفعالية لدرجة تمويل جيش كامل العتاد في انقلاب أحمر ضد الملك تشارلز الأول كما رأينا في فصول الحرب الأهلية الإنجليزية, ثم خلع الملك جايمس الثاني في انقلاب أبيض إنتهى بما يُسمى بالثورة الأبية The Glorius Revolution. يتابع ويليامس:

> بلا شك مع بداية عام 1714 أعطِيَ ستانَب المنصب الأول, كأعلي مسؤول في السُلطة عن التدابير العسكرية قيد الدراسة لتأمين اعتلاء آل هانوفر للعرش بلا مقاومة.
> ويليامس, المصدر السابق, ص. 142 ...
> بحلول مارس عمل ستانَب (James Stanhope, م.س) إستعداداته لبسط القانون بقوة السلاح لو لزم الأمر .. قصد اللاجئين الفرنسيين الذين مثلوا جالية متنامية في إنجلترا منذ عهد ويليام (البرتقال, رجل الإنقلاب الأبيض ضد جايمس الثاني, م.س) وكان منهم ضباط جيش جيدون مثل شومْبيرق وروفيني Ruvigny. تم إنشاء *جمعية* خاصة بحزب Whigs ووصلت مبالغ كبيرة من المال للإسهام في شراء الأسلحة والذخائر من رؤوساء الحزب والتجار الأثرياء في "المدينة". المصدر السابق, ص. 144

هل نحن أمام قصص بوليسية؟ مؤرخ في قامة بازل ويليامس يفيدنا بخطة تتضمن اشراك مرتزقة في جيش البلاد لتنصيب وليّ عهد أجنبي ملكا بالقوة؟ قد يكون الجزء الوحيد الذي لم يصدمنا من كثر ما ألفناه هو تورط "المدينة". لكن ويليامس لم يقل الكلمة الأخيرة بعد:

> العديد من الضباط الذين تم تسريحهم من التابعين لحزب الـ Whigs .. أعلنوا عن استعدادهم لتنفيذ أوامر ستانَب .. تم وضع خطة حاسمة للعمليات لهذا الجيش تحت إمرة ستانَب متأهبا للتحرك عند أول بادرة أعمال عدائية من اليعاقبة (Jacobites المَلَكيون في صف جيمس 2 وإبنه جيمس 3, م.س). على كل ضباط *الجمعية* من الذين يقبضون نصف مرتب أن يحتفظوا بأسلحتهم في مخادع نومهم .. هذه الخطة لم يشي بها ولا واحد من الآلاف المؤتمَنين على السر.
> المصدر السابق.

أولا للتوثيق, فمصدر ويليامس للقصة هو Lockhart[50]. يتعجب ويليامس, ونحن معه, متوقفا عند جملته الأخيرة. إذ كيف يستقيم ألا تُفضح الخطة العسكرية وقد اطلع عليها الآلاف؟ يعيد المؤلف تساؤله ويرد عليه بنفسه على هامش الصفحة قائلا : " .. لقد أثير بعض الشك حول هذه القصة, لأن من الصعوبة بمكان ألا يُذاع سرٌ أفشيَ للآلاف. لكن بروفيسور براونِنق Browning من جامعة قلاسْقو ذكرّني بسابقة مماثلة في عام 1688 (الثورة الأبية, م.س), عندما جهلت حكومة جايمس الثاني بتجهيزات كانت حتى أكثر تعقيدا لمساندة ويليام البرتقال ..".

50. جورج لوكْهارت: Anthony Aufrere, The Lockhart Papers, (two volumes), published 1817

هؤلاء المرتزقة الذين يعملون بهدوء جنبا إلى جنب مع ضباط متقاعدين من أبناء البلاد, من بوتقة عسكرية خلف كواليس المسرح السياسي لم يكونوا المرتزقة الوحيدين – تماما مثل ما لم تكن أحداث الشغب مقصورة وحسب على جورج الأول الذي تأسس بقُدومه حكم بيت هانوفَر مفروضا على رقاب العباد. يقول راندَل <45>, وما بين الأقواس لي, م.س:

> كان الشَغَبُ سِمةً في حكم بيت هانوفَر, حيث شهد في عهد الجراجِجة (جمع جورج) الثلاثة الأوائل[51] درجة من الغليان الإجتماعي أكثر من أي فترة مشابهة, بما يشمل الحرب الأهلية. بطبيعة الحال وُلد النظام في كَبَدْ, اضطرابات وشغب طويلي الأمد. بلاط جورج الألماني وجيوش مرتزقته الألمان الذين جلبهم معه أثاروا حفيظة الشعب الإنجليزي بمختلف طبقاته, إضافة إلى تصميم (النظام) على كنس التَوريين الذي سادوا في عهد الملكة آن[52], واستبدالهم بأثرياء حزب الـ Whigs جعله مكروها جدا في العديد من أنحاء البلاد. تلك العداوة أكثر ما تجلّت في لندن .. يوم تتويج جورج الأول, اليوم الذي أعلن كاحتفال وطنيّ شهد إضطرابات ضد بيت هانوفَر في مدن مثل بريستول, قلوسْته, ساليزْبْري, بيرمينقهام (بيرمِنْقَّم), نورِش, كانْتَّربْري, بينما إنتخابات عام 1715 المشكك فيها بشدة شهدت موجات جديدة من الإضطرابات في كل البلاد. كان ذلك المناخ الذي جعل الحكومة تستميت في بسط سلطتها فتسن قانون الشغب
> المصدر, إيدرِيَن رانْدَل, تجمعات شَغَب: الإحتجاجات الشعبية في عهد آل هانوفر في انجلترا
> Adrian Randall, Riotous Assemblies: Popular Protest in Hanoverian England, p.23, OUP, US, 2006

الأمر الثاني في إطار قمع سلطة الأنقلوساكسون المنتخبة لشعبها هو قانون الترحيل[53] Transportation Act <46> والذي شرّع ترحيل مُدانين في جرائم "نهب, سطْو و ’جُنَح أخرى’ .." بصريح العبارة, قانون لترحيل المجرمين بصياغة مطاطة جدا. وحدد القانون مدتين للعقوبة في المنفى: سبع سنوات أو أربع عشرة سنة. وشرّع أن العودة قبل قضاء فترة الحكم عقوبتها الإعدام (بنص القانون, المرجع السابق. إنظر الصفحة المقبلة). من أكثر مواد القانون إثارة للإهتمام المادة الخامسة حيث تقول:

> ويمكن لأي شخص فوق سنة الخامسة عشر وتحت سن الحادية والعشرين وراغب في أن يُنْقل, وأن يخدم مع أي شخص في مستعمرات أو مُستفلحات plantations صاحب الجلالة في أمريكا, يجوز ويصبح قانونيا لأي تاجر أو غيره أن يتعاقد مع الشخص لفترة أقصاها ثمان سنوات, بشرط .. أن يَمْثُل الشخص أمام اللورد العمدة للندن أو أمين العدل للندن المدينة ..

51. الملك جورج الأول حكم 1714-1727؛ جورج الثاني 1727-1760؛ جورج الثالث 1760-1801 (انجلترا وسكوتلندا), ثم 1801-1820 (المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال إيرلندا, كما هو اليوم). الجراجِجة من آل هانوفر تعاقب منهم ستة.

52. الملكة آن Queen Anne حكمت بعد موت ويليام البرتقال, ومن قبله زوجته الملكة ميري, من 1702 إلى موتها في 1714.

53. 1717: 4 George 1 c.11: An act for the further preventing robbery, burglary, and other felonies, and for the more effectual transportations of felons, and unlawful exporters of wool; and for declaring the law upon some points relating to pirates.

لا كرامة للأموات: المسمار الأخير

فيما يخص الشارع, فقانون الشغَب كان أول المسامير لصلب الشعب. لكن سلطة القمع إشتغلت على أكثر من نسق, ترهيبا وترغيبا. رودْجَرْز <43> أفاد: "في سعيٍ للحد من السخط في المدن, لجأ الـ Whigs إلى ثلاث استراتيجيات: إرهاب القانون, الإستعراض السياسي والـ "تعسيس" vigilantism". إذ في ثاني استراتيجيات الإخضاع كانت "الفوانيس والشموع المضيئة بطول ضفة النهر, وشعارات الإخلاص" .. "طلقات المدافع والأضواء" .. "ذكرى آل هانوفر شهدت .. لحم الثيران المشوي وبراميل النبيذ (على شرف الملك, م.س)" .. "الصواريخ والألعاب النارية إلى عنان السماء", ص.76. المسمار الثاني كان قانون الترحيل, من جهة لتسريع إبعاد غير المرغوب فيهم من كارهي النظام, ومن ناحية أخرى لتنويع أساليب التخلص من المعارضة إضافة إلى الإعدام الذي سنَّه قانون الطوارئ. وأخيرا, إحياء سُنـَة قديمة هي ترحيل كل العناصر التي تسبب مشكلة للسلطة, سياسية كانت أم إقتصادية. وكما قلنا فإن التجرؤ على العودة قبل انتهاء الفترة المحددة بالمنفى عقوبتها الإعدام. باريت وهاريسون <36> وثّقا لمُدان بعينه اسمه توماس بَتْلَـه Thomas Butler إذ حكم عليه بالإعدام في محكمة أولد بيلي "لرجوعه من المنفى"[54]. لكن المسمار الأخير في نعش الشعب كان له أن ينتظر حتى عام 1752. منذ مجئ آل هانوفر, كان القانون الجنائي البريطاني في تطور مطرد. تومسون (مرجع رقم 23) في ص. 46 تورد عن فايسَر[55]: "في انجلترا ارتفع عدد الجرائم التي عقوبتها الإعدام من خمسين في عام 1689 إلى مائتين في عام 1800. أصبحت المِلكية الخاصة في انجلترا محمية بأكثر شرائع الإعدام رسوخا في التاريخ". سُن قانون "لمنع جرائم القتل الكبرى" <47>[56] في 1752 في عهد جورج الثاني للتصرف في الجثة بعد إعدام صاحبها. للقارئ التأمل مليا في المادة 10:

المادة 2: سيشرّع أن جثة القاتل عمدا المُدان تحت هذا القانون (إن كان في ميدل سِكس أو لندن المدينة) سوف يُنقل فورا على يد شريف المدينة .. إلى مبنى شركة الجرّاحين .. ليتم تقطيع وتشريح الجثة على يد الجراحين.
المادة 3: يجب إعلان الحُكم في محكمة مفتوحة, فورا بعد الإدانة .. وميعاد تنفيذ الإعدام وعمل وصمة الجُرم على المذنب حتى يوعى بفداحة الجُرم في عقل الجاني وعقل من يحضر.
المادة 4: للقاضي أو أمين العدل سلطة جنزرة جثة المجرم (تُقيّد بالأغلال وتترك حتى تتعفن)
المادة 10: من يحاول تخليص الجثة من الجراحين سيعاقـَب بالترحيل سبع سنوات.

---

54. Andrew Barrett and Christopher Harrison (Ed), Crime and Punishment in England: A Sourcebook, 1999
هذا المرجع سبق ذكره في الجدول ص.41

55. Michael R. Weisser, *Crime and Punishment in Early Modern Europe*, in *Pre-Industrial Europe: 1350–1850*, ed. Geoffrey Parker.

56. An Act for the preventing of the horrid crime of murder, 25 Geo. II, cap. 37, in Statues at large. John Raitby Quoted by Barrett and Harrison, op cit. مذكور في المرجع <36> كما تقدّم

لكن الإبداع الحقيقي كان في "قانون مكافحة السرقة والنهب, وتنظيم أماكن الترفيه, ومعاقبة من يدير بيوتا للسلوك المنفلت" <48>[57] الذي صدر في ذات العام:

> المادة 1: بما أن الإعلان عن مكافأة دون قيد أو شرط لإرجاع ما فُقِد أو سُرق من أكبر أسباب السرقات والنهب, فليكن التشريع بأن .. أي شخص يضع إعلانا عاما بمكافأة دون قيد أو شرط لإرجاع ما قد سُرق أو فُقد .. فسيتكبد خمسين جنيها بسبب هذه المخالفة.
> المادة 2: نظرا لأن العدد الكبير من أماكن الترفيه للطبقة الدنيا من الأشخاص أحد الأسباب الكبيرة الأخرى للسرقات والنهب, حيث تُزيّن لهم أنفسهم إنفاق القليل بحوزتهم في ملذات خارجة على النظام, فتكون النتيجة إنقيادهم إلى تعاطي ما يحتاجونه ومعاودة ملذاتهم, ولمنع تلك الرغبة الكامنة للسرقة والنهب ولإصلاح عادة التبَطّل habit of idleness التي أصبحت متفشية في كل المملكة ومصدر للكثير من سوء العمل .. فليكن التشريع بتغريم أي منزل, غرفة, حديقة أو أي مكان عام معمول للرقص والغناء .. في لندن المدينة ووِستٍمِنْسْتَر المدينة .. سيتم اعتباره بيتا مفتقد للإنضباط ..

المادة 1 أعلاه اكتشفت 'مصدر دخل' للفئات الدنيا عبر ثغرة في القانون: حين لا يُعرف السارق أو الناهب ويتم 'فتح قنوات الإتصال' لإرجاع ما أخذ "من سُكات" بمحفّز صغير من المتضرر للطرف المسبب للضرر (أو المحظوظ الذي عثر علي شيئ قيّم قد فُقد). فكان لابد من إغلاق تلك الثغرة! أما في المادة الثانية, فالسلطة قد اخترعت إصطلاحا بديلا للفقر هو التعطّل (وقس على ذلك الكسل والخمول والعزوف عن إيجاد عمل) الذي رُمي به السواد الأعظم من الشعوب البريطانية. نستعيد ما أسلفنا في جزء أسبق من بحثنا (ص. 38): في حياة الأمم, فإن أزمة المال في الدولة, مثلها كما عند الناس "ليست سوى وصفٍ دبلوماسيّ لظروف اجتماعية بشعة". ما يبدو أننا بصدده هو سلطة إرهاب مركزية في طابق السياسة العلوي مخفية في عمق السلطة "المنتخبة" مدعومة بأموال "المدينة" وإشراف أياديها الواصلة. في هذا التاريخ الطويل لإذلال السكان تستخدم اليد الناعمة في "المدينة" ترتيبات ومناورات خفية. لتمويل الجيوش والخطط لتغيير الأنظمة (بمتواطئين محليين أو أجانب). لإفساد السلطة السياسية من الداخل (ضرب الملك بالبرلمان, والبرلمان بالجيش) والخروج على الشرعية وضرب عنق الملك إن لزم الأمر – كما تستغل مؤسسات السلطة الظاهرة لترويع الجماهير. السلطة الظاهرة التي تحت الغطاء الإنتخابي لا تترد في أن تُخوّل للمؤتمرين بأمرها إستخدام القوة المفرطة في الشارع إن إستدعى ذلك. قانون الشغب مثّل ردَّ فعلٍ بدائي لقَبَضايات السُلطة لتحجيم وإخضاع الجماهير عن طريق أعلى سلطة للقمع: الإعدام. الشغب ضد آل هانوفر, أو احتجاجا على وضع معيشي أو ظروف العمل, فالأمر سواء. تلا ذلك الترحيل كما قلنا لتسريع التخلص من المعارضين للسلطة.

---

57. 25 Geo. II, cap. 37, in Raitby, ibid. انظر الهامش السابق

تاريخيا, رغم أن التمثيل بجثث المعدومين بإسم القانون مارسته الحكومات في الجزر البريطانية منذ مئات السنين[58] , إلا أن "جنزرة الجثة" حتى تتعفن, والأمر بتشريح الذين فارقت أرواحهم أجسادهم كجزء من العقاب, مثل تطورا "ناضجا" في ذهنية الإرهاب: إبعاد الجثة عن *بيئتها* – لتفتيت الخطر. النفي إلى بلاد بعيدة تحوّل من خيار إضافي "للتطهير" إلى خيار أساسي للردع ضد من يحاول أن يجعل الموت آخر مرحلة في بطش السلطة. النفي بين البحور كذلك كسلاح ثقافي لإعدام الذاكرة الثقافية .. لبتر روح المقاومة وإستئصال بذرتها من تربة الميلاد. فالمنفيّ ليس شخصا وحسب: هناك أهله, منزله, وإرثه في ذاكرة الأرض. جيلٌ بعد جيل من المُنْبتّين: منسيين في أوطانهم, عبيدا في المنفى. كأبناء الحرام في بيت رعب للقطاء. لكن هؤلاء كأولئك, لتجِدَنّ الرعب عندهم يجددُ إقامته. فالرحيل ليس سوى الكابوس الأول. الكابوس الحقيقي يبدأ في التلوث على الضفة الأخرى. ربما الآن, حان الوقت لمراجعة "الخمسين ألفا" في التقديرات الخجولة للذين رُحّلوا واجتُثّت جذورهم في الفلك المشحون. في وجه الإستئصال المنظم للسكان والتنامي المضطرد لأرباح "التجار" أليس المنطقي أن يستمر عدد بؤساء البحر المنقولين إلى "العالم الجديد" في تزايد وازدياد حتى تتشبع قدرة الآلة الجهنمية على إيلام البشر؟ إن لتجارة الرقيق عبر المحيطات جانبا مظلما آخر في حق العبيد البيض, بجانب الفصل الرهيب في حق العبيد السود: تشريد عشرات ومئات الآلاف من البيض, بل ربما ملايين – هؤلاء الذين يُسَمَّوْن كذبا روادا ومهاجرين. بل هم ولو بنسبة "س" إلى "ص", عبيدٌ ومهجّرون. تقول موسوعة المعارف البريطانية <49> عن السخرة forced labour: "السخرة وجدت بصُور مختلفة في كل العصور, لكن كانت سمة مميزة واضحة في الأنظمة الشمولية لألمانيا النازية والإتحاد السوفييتي" https://www.britannica.com/topic/forced-labour . لاحل مع هذا النوع من النفاق سوى تصحيح المعلومة, بإضافة, "يُذكر أن من أسوأ الأنظمة الشمولية حكومة الجزر البريطانية منذ القرن السابع عشر". في نهايات هذه الرحلة في أيديولوجيا العقلية الظلامية للسُلطة البريطانية وأقلام دعاياتها, يبدو أن فأرا ماكرا تسلل من مصيدة البحث. يُقال عن الوظائف: كلُّ من يغادر إحداهن يحل آخر مكانه For everyone that leaves another one will come. السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو, **من حل مكان العبيد المنفيين بالآلاف من أوطانهم؟** لأن التاريخ ليس قافلة بغال في إتجاه واحد.

58. الإصطلاح drawn and quartered: سيق لمكان الإعدام, شُنق, ضُرب عنقه بعد الشنق, ثم رُبّع, أي قُسّمت الجثة إلى أربعة أقسام. كان عقوبة فظيعة بحق المدانين بالخيانة منذ قرون في الجزر البريطانية؛ هناك أيضا عقوبة تعليق الرأس المقطوع للخائن ووضع عنوان "خائن" بجانبه. الملك تشارلز الأول كما تقول الروايات عُلق رأسه المقطوع, لكن لم يكتب شيئ بجانب الرأس؛ وهناك غير ذلك من التمثيل بالجثث.

الألْمَنَة (تزوير الهوية)؛ تاريخ أقصر لطغيان الأنقلوساكسون: (5)

كان يا ما كان, في سالف العصر والأوان, أن لوحظ بعد حوالي القرن وربعه من تنصيب آل هانوفر الألمان ملوكا للجزر البريطانية ظهور تيار غير اعتيادي في كتابة التاريخ. فجأة وبوتيرة منظمة, إبتدأ الكتاب, الفلاسفة والعلماء يُرجعون أصلهم إلى وديان وأنهار ألمانية. هورْسْمان, الذي التقيناه في صفحة البحث الأولى نظر في أمر "الأنقلوساكسون" وتحديدا في "أصول العرقية الأنقلوساكسونية قبل عام 1850" في كتاب <1> له بهذا العنوان. في المقام الأول لا بد من إعطاء الفضل لأصحابه. لأن الرجل, كما نود القول على لسان مارتن برنال (عن "اليوروسنترية" لسمير أمين), "نبش مسألة في غاية الأهمية. في إستطلاعه لها أضحى مرشدا للباحثين". ما يهمنا من هورْسْمان هو تقاطع بحثه مع إحدى فرضيات بحثنا. بداية في إطار عرضه للموضوع, ذكر هورْسْمان إسهامات "جيلين من باحثي أوكسفورد" في القرن السادس عشر (ص. 388)؛ ثم محاولات القرن السابع عشر الذي لا زالت رؤيته متمركزة حول الخصائص الثقافية والمؤسساتية (مؤسسات الحكم) للأنقلوساكسون (ص. 389) مبهورة بمحاولة تاسيتَس[59] Tacitus؛ ثم "نشر واسع لأطروحة الألمان المستقلين والأنقلوساكسون الأحرار في القرن الثامن عشر .. حيث إحتوت الكتابات التاريخية .. لـ رابيد دو تويڤاس وكاثرين مَكولي على هذه الأسطورة ورأى الكثيرون عبر المحيط من صناع الثورة الأمريكية أنفسهم كمستعيدين لحريات أجدادهم الأنقلوساكسون" (ص. 389)؛ ثم بحلول الحركة الرومانسية Romantic Movement حدثت الـ "نقلة" من "استمرارية المؤسسات الحرة إلى الخصائص العرقية التي افتراضا فسرتها (أي الإستمرارية, إضافتي م.س).. ومع انتشار اللغة والنفوذ الإنجليزي في العالم .. تركيز جديد للأنقلوساكسون ك"عرق" " (ص. 390)؛ ثم عمل ماليه[60] بالفرنسية, وتبعه ترجمة توماس بيرسي له, مصحوبة بالتمييز, "مصححا" لعمل ماليه, "بين الشعوب التيوتونية .. أصل الألمان, الساكسون والإسكندنافيين وشعوب الغال the Celts" (ص. 391), حيث يقول بيرسي "بإن الغاليين ليس لهم ذلك الشغف الملحوظ بالحرية مثل التيوتونيين", المصدر السابق, نقلا عن بيرسي.؛ ثم حدث تطور مشهود في النعرة العنصرية مع نشر جون بِلكّتون John Pilkerton في عام 1778 لـ رسالة في أصل السيثيين Scythians أوالغوثيين Goths حيث قال بإن :التتاري, الزنجي والأمريكي يختلفون عن الألماني .. مثلما يختلف البولدوق .. عن البوينتَه[61] pointer .. الإختلافات جذرية, ولا يمكن لأي مناخ أو صدفة انتاجها" (ص. 391, كما تقدم, نقلا عن بِلكّتون)؛

59. Tacitus, Germania, trans. by R. B. Townsend, London, 1894, تاسيتَس كان من رعايا الإمبراطورية الرومانية, وكتاب "قيرمانيا" كان باللاتينية وهي اللغة التي قُرئ بها كتابه من باحثي القرن السابع عشر, قبل ترجمة الكتاب إلى الإنجليزية في القرن التاسع عشر.
60. Paul-Henri Mallet, L'Introduction de I'histoired de Dannemarc.
61. هل يذكّرنا هذا الكلام الجاهل بأقلام تردد نفس الرؤية الظلامية الأنقلوساكسونية في بدايات بحثنا هذا؟

ثم يطلعنا هورْسْمان عما يبدو تحورا في الخطاب الأول لبيرسي الذي اكتفي بتمييز الجرمانيين عن الغال, بقلة نزعة الأواخر للحرية, إلى خطاب ثان لـ بِلْكَتون يصف فيه الغال بأنهم "كانوا هَمَجا منذ خُلقت الدنيا وسيظلون همجا ماداموا أمة لوحدها؛ أي أن يظلوا على حالهم ولا تختلط دماؤهم بأخرى" (ص. 392, كما تقدم, نقلا عن بِلكَتون). أخيرا, قبل أن نفارقَ هورْسْمان إلى منظور أشمل في البحث, يقول الرجل:

> بحلول عقود الثلاثينات من القرن التاسع عشر (1830, م.س) دخلت علوم فقه اللغة الألمانية إنجلترا إلى حد أن أنشأت مدرستها الخاصة بها .. بما أن الإنجليز كانوا مسبقا قد كوّنوا حلقة ارتباط متينة بين "الأنقلوساكسون الأحرار (..)" والقبائل الجرمانية مع سنوات ضمور الإمبراطورية الرومانية, أصبح الآن بمقدورهم أن يتسلموا زمام أمور هذا التوسع الجديد في تاريخهم, ويُمجّدوا تاريخهم مجدا مجدا. أصبح بالإمكان تتبع حلقة متصلة من مسقط الرأس في آسيا الوسطى, عبر غابات ألمانيا, وإلى الشواطئ الإنجليزية. وفوق ذلك, بما أن الأنقلوساكسون قد هيمنوا على الولايات المتحدة, وتوسعوا باتجاه (المحيط, م.س) الباسِفيكي فإن التقدّم .. التابع للشمس أخذ معنى جديدا .. فقه اللغة الألماني بكل توسعاته في الأعراق, التاريخ والميثولوجيا لم تعمل سوى أثر محدود نسبيا على الكتابات الإنجليزية في موضوع الأنقلوساكسون **<u>في العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر</u>** (التشديد لي, م.س).
>
> هورْسْمان, ص.393, المرجع رقم <1>

ونفارقه بالفعل, إلى حين متفقين معه عند إعطائه فضلا لأهل "الأنثر" (الأنثروبولوجي) في توسيع الثقب العنصري. ومع ذلك فنجد أن حُجة هورْسْمان في الإقتباس الأخير, والتي تبدو معقولة جدا ربما حادت عن بيت القصيد. ذكر كينلِم دِقبي في كتاب <50> بعنوان حَجَرُ بناء الشرف, نشر عام 1823:

> لقد سعيت, أصالة عن نفسي وإنابة عن كل الرجال المحترمين والسيدات المحترمات لتأطير ونشر كتاب عن المجموع ensembles والعهود التي أسميها حجر بناء الشرف؛ شاخصا إليه في كونه قلعة مثل الصخرة عند نهر الراين حيث لا رعديد ولا خائن إجترأ على الوقوف, والتي تمخض عنها هذا المؤلَّف, عصيّة على الإختراق؛ حيث يقف كل من يعشق الشرف والنبل الحقيقيّيَنْ – ناظرين نحو الأسفل صوب أعدائهم الذين يخططون بلا طائل في أديم الأرض تحتهم؛ حيث يتمتعون بشعور نبيل, مثل "هواء الحرية" الذي يلف تلك القمة الماجدة, بعيدا عن تلوث عالم من حضيض.
>
> Kenelm Henry Digby, Broad Stone of Honour, London, p. xiii-xiv, 1823

"بيت القصيد" المشار إليه, مخاطرين بإثارة حفيظة القارئ, كما حفيظة هورْسْمان, لا أقلّ من أن يسمى بديلا للأنقلوساكسونية في عمق إنجلترا! ولكن, فلنُمْسِك البدايات حتى يكون التسلسل منطقيا. دِقبي أولا اقترح فكرة تخييلية–ذهنية إنجليزية للشرف والأخلاق "يمكن" أن يشاركه فيها الباقون من الإنسانية. يمكن أن نقول يوتيوبيا للرجل الإنجليزي مركز الدائرة فيها ميثولوجيا ألمانية. بكلمات أنيقة, رسم مثالي لهوية إنجليزية محددة في العقد الثاني للقرن التاسع عشر, وليس هناك أنقلوساكسونية بالمعنى الأوسع (إستبعاد الآخر) ,

كما أن الإستعلاء العرقي, بقدر ما نستطيع أن نستشف من النص, لا يبدو ضمن أجندة الكاتب. لكنَ يوجدُ "ترفّع" أدبي – تعالي أخلاقي على الآخر من حيث القيم. هذه القيم الطوباوية يرجعها المؤلف إلى فترة العصور الوسطى:

> نؤرخ لأصل مقامنا our order للمؤسسات الأولى في أوربا بعد بلوغ المسيحية: ومن هنا فإنه من روح الشهامة القديمة, في طبع فرسان وبارونات العصور الوسطى, حيث يجب أن نفتش عن القيم والخصال التي ستكوّن إرثنا.
> دِقبي, المصدر السابق, ص. 31

مأخذنا الفوري فيما أوردنا أعلاه هو كلمة المقام في "مقامنا"[62]. كما من نافلة القول أن دِقبي ليس بأول رائد لطوباوية أخلاقية في بيئته المحلية. لكن, مواصلة للحديث فالإقتباس أعلاه مثير جدا للإهتمام من حيث إرجاع قيم الشهامة إلى فرسان العصور الوسطى, وليس أقل إثارة للإهتمام من الحديث عن "المؤسسات الأولى". ليت شِعري, لعل الرجل قصد البرلمان مثلا بهذه الإشارة؟ أو أيٍّ من مؤسسات الحكم "الأنقلوساكسونية الحرة"؟ فعليا, أول مرة يذكر فيها دِقبي البرلمان, والبرلمان الإنجليزي تحديدا كان نقدا في مقتل:

> ليس من الضروري مراجعة ثوسيدِيدِس, أو لِفي, أو سِيَر الثورة الفرنسية لنكتشف أن تلك المفردات مترادفاتٌ لبعضها البعض. سيُعثَر على الدرس أقرب لصحن دارنا في تاريخ التمرد للورد كلارِندَن[63]. إن سقى الطغاةُ الرجالَ كؤوس المنون إنتهاكا للقانون والعدل, فقد نحا البرلمان الإنجليزي ذلك النحو. إذا فرض الطغاة أشرطة على ضمائر رعاياهم, فالبرلمان أمر "بألا يُتوقع من أيّ ابن انثى أن يُحني رأسه عند ذكر اسم المسيح," كما يوصي به رأس الكتاب وسنة وتقليد الكنيسة. إذا لجأ الطغاة إلى فتح الرسائل الخاصة, فقد فعل البرلمان مثل ذلك.
> المصدر السابق, ص. 117

إن تصوّر ربط البرلمان بالطغيان ليس مرة, بل مثنى وثلاثا, وعند أول موضع يأتي ذكره في النص, لَعَمْري خبرٌ سيئ لكل المؤمنين بـ "مؤسسات الأنقلوساكسون الحرة". في ذلك الموضع من النص, كما في غيره نرى دعوة مبطنة ومن العمق للكفر بالبرلمانية اللبرالية على كل من ضفتي القنال.

ما نود قوله في جزئية إخطاء سهم هورْسْمان (وسهام باحثين غيره) بيت القصيد هو افتراض أن يكون الأدب (ألمانيا كان, إنجليزيا أو أمريكيا) رافدا وحيد الإتجاه مساندا ومغذيا لمزاعم الأنقلوساكسونية في الخطاب الأكاديمي والتركة البحثية. يذكر هورْسْمان:

---

62. الإصطلاح order خاصة في التعريف, المقام the Order كما كمضاف, أي مقام الـ Order of يحمل دلالات برجوازية ذات مغزى عن الإستبعاد والتآمر السياسي العسكري. لكن سنفترض حسن النية في دِقبي. بصدد تلك الدلالات إنظر ص. 64.

63. Edward Hyde Clarendon, The History of the Rebellion and Civil Wars in England, various editions and revisions after Hyde's death.

> فقه اللغة الألماني German philology, بكل توسعاته في الأعراق, التاريخ والميثولوجيا كان له أثر محدود نسبيا على الكتابات الإنجليزية في العقود الثلاثة الأولي من القرن التاسع عشر. إن تسارع الإهتمام بماضي الساكسون بدأ يعتمد أكثر على تصور عصور وسطى جديد ظهر نهاية القرن الثامن عشر, ولا زالت جذوره في عمق حجج "الأنقلوساكسون الحر" في القرن السابع عشر. رغم أن الحجج الأساسية اتبعت خطا تقليديا, ظهر نوع جديد من الرومانسية؛ تركيز على السمات الشخصية الفردية أكثر من الإمتياز المجرد المتعلق بالمؤسسات. لقد تنْمذج هذا المدخل في أعمال شارون تيرنر, سير وولتر سْكوت وأوغسطين تي-بيري, الذي مثل حلقة الوصل بين النمذجة القديمة للمؤسسات الأنقلوساكسونية والعنصرية الجديدة في منتصف القرن التاسع عشر.
>
> هورْسْمان, ص. 393-94,

ومع ذلك, فدِقبي يقدم البديل المعارض لتحليل هورْسْمان. فالأول لا يدين البرلمان, رمز "النمذجة القديمة للمؤسسات الأنقلوساكسونية" بأشد أنواع الإدانة وحسب, بل بالتوازي مع ذلك يصنع دِقبي سمات شخصية من عمق الميثولجيا القديمة عند نهر الراين ونبل فرسان العصور الوسطى (حقيقة أم خيالا) مقتصرة على الأمانة والشرف – نموذج اقتداء وإلهام للهوية الإنجليزية كمرجعية أخلاقية. وليس سمات جينية في الشخصية الإنجليزية – إذ يمكن للفرنسي, التركي, أو غيره من الرجال أن يشاركه فيها. دِقبي ضمن أجندته المقدمة للهوية الإنجليزية لا يعطينا حتى أملا في برلمانية أفضل. وللقارئ الذي قد يبدو في حيرة, فعُنُق الحقيقة أنّ هذه الوصفة الشخصية, تلك الهوية الإنجليزية تبدو مضادة تماما للهوية الأنقلوساكسونية المرتبطة بالتوسع على حساب الآخرين: الشوفينية, القرصنة, الهيمنة– إنتهاك الآخر وتطفيف كيل الآخر. يفيدنا دِقبي:

> أوصي كل رجل نبيل بأن يسافر, ليس ليصبح مكتفيا ذاتيا أو وطنيا أكثر, لكن أكثر تواضعا, وأكثر إدراكا لمسؤولياته كرجل, ليس عائدا بحكاوي البطش[64], داعما التحيزات الخيالية لإخوانه في الوطن, فيزيد من احتقارهم اللامبالي للأمم الأخرى.
>
> دِقبي, ص. 350

هذا الهجوم القاتل لا يسَعُنا معه سوى التأمل في دوافع الكاتب وحربه على المتبنّين والناشرين لأيديولوجيا وترسانات القهر. إن فرضية أن يكون في الأدب و الشعر مدرسة معارِضة لحجر أساس الأنقلوساكسونية, أي إدعاء حرية المؤسسات والبرلمانية, لا تبدو مضمنة على الإطلاق في طرْح هورْسْمان. إذ تمثّل شاهدا غائبا لم يتم استدعاؤه للتحقيق. من جهة أخرى فإن دِقبي بعد أن أشهر سيف الأخلاق (دون ازدواجية يمكن أخذها عليه) ضد البرلمان, لم يدخر وسعا في استخدام شفرة الهجاء للتعريض برجال المال:

64. لن يفوت على فتنة القارئ التعريض اللاذع من دِقبي بكم هائل من "أدب الرحلات" في اللغة الإنجليزية والدراسات الوصفية من أهل الأنثر.

> ربما يكون كافيا جدا أن نلاحظ, مع زيادة حظ الأمة في الثراء, وبصرف النظر عن أي انحراف عن قيم الدين والفلسفة القديمة, فمن الطبيعي جدا أن نجد نفوذا خبيثا pernicious influence يطال حتى عِلية القوم[65]. دِقبي, تقدّم ذكره, المقدمة, ص. xxxvii

دِقبي متحصنا بتمويه اللغة يمثل "معارضة تحت الستار" لرجال المال, مثلما يمثل بسيف النبل معارضة صريحة لرجال السياسة, وإن سكت قلمه عن تشنجات الحاضر فلا يلسَعُه إلا من وراء حجاب. في عدة مواضع تاريخية سواء في فرنسا (إعدام لُوِي السادس عشر والتحول عن المَلَكية) أو على الضفة الأخري لـ "تطوير" أو لـبَرْلَـة مؤسسات الحكم في الجزر البريطانية, نجد دِقبي مع الأقلية الواقفة ضد التطور المزعوم: في الحرب الأهلية الإنجليزية (إنتهت بإعدام الملك)؛ عهد تشارلز الثاني (تحجيم البرلمان لدور الملك)؛ أيام جايمس الثاني الأخيرة (خُلع ثم "نُقلت" السيادة إلى البرلمان). ليس في حياة البرلمان بل في "موت الملك" (ومخلَصيه) توجد في رأي دِقبي وصياغة المؤرخ أنكوتيل Anquetil مراصدُ ومواريثُ الفخر (دِقبي, ص. 116). وتلك المعارضة والصوت المقاوم يحدُثان في ذات الفترة التي تمثل في رأي هورْسْمان انتقالا بيّنا من الإفتخار بالمؤسساتية الأنقلوساكسونية إلى إعلان العنصرية الأنقلوساكسونية على أساس العلم والجغرافيا.

تغييب آخر ملفت للنظر a significant omission عند هورْسْمان في حديثه عن تحور الأنقلوساكسونية إلى بعد عنصري منذ منتصف القرن التاسع عشر, هو مفردة مسقطة من البحث, الإمبريالية. أي دور المؤسسات الإمبريالية في ترسيخ الأنقلوساكسونية العنصرية – تحديدا المعهد الملكي للإستعمار the Royal Colonial Institute, وكل الذين عُمّدوا في تلك المياه. المفارقة المدهشة أن الإمبرياليين لا يجدون أيّ غضاضة في الإقتباس من دِقبي بملئ الفم. للقارئ أن يتذكر بروس, أحد دهاقنة الأنقلوساكسونية العنصرية. يقول بروس:

> أعتبر الحرية المدنية في تصور حقيقي نقي كأعظم الهبات البشرية. وأنني متأكد أن الجنس البشري بأكمله يستحقها .. القاعدة التي تؤمّن هذا التصريح لا أرتضي غيرها كركيزة للنظام الأكبر الذي تستطيع الإمبراطورية أن تسبر غوْرَه, وإني أجسدها في عنوان كتابي: حجر *بناء الإمبراطورية*. هذا العنوان, كما سيدرك دارس الحضارة الغربية لتوّه, مشتقٌ من عمل لـ كينلِم دِقبي, حجر *بناء النُبل*, وقد اقتُرح بزعمه أن شهامة العصر البطولي للمسيحية يمكن مقارنته بصخرة إيرِنْبْرايت شتاين على نهر الراين.
> بروس, تقدّم ذكره, المقدمة, ص. xx

بروس العجيب يجمع بين تأكده من إستحقاق الجنس البشري كله للحرية المدنية, مهتديا بِدِقبي, وبين "إن تبلور تلك الفروقات العرقية يجعلها على النقيض من الأساس الأخلاقي للمساواة الإجتماعية"!

65. في اعتقادي, مقصد دِقبي بـ "علية القوم" هم الملوَّثون من البرلمانيين, والذين شرَوْا ذممهم بالمال من أحزاب توجَهُها "المدينة".

(إنظر ص. 9 من البحث). لكن من السهل علينا إيجاد الأستاذ الملهم لإزدواجية بروس: "الإختلافات جذرية, ولا يمكن لأي مناخ أو صدفة انتاجها" (كما أورده هورْسْمان عن بِلكَتون في نهاية ص. 57 من بحثنا هذا).

الفكر الإستعلائي الإمبراطوري, من روح الطبيعة الإنفصامية لـ "المدينة" الإمبراطورية. فهو يدعي النبل والعالمية, بينما يمارس الفجور والشوفينية. يعلن الشفافية ويمارس التآمر. يمكن أن يتمتع بالموسيقا الكلاسيكية بعد أن يغتصب طفلا. هناك من العصور الوسطى ما يستحق نسَبه للفرسان. لكن الأنقلوساكسونية لديها القدرة على تقمص الفروسية دون أخلاق الفرسان. فتصميمها مثل الفيروس, حياته من موت خلايا الآخر. لا يحيا مستقلا بلا وسيط لحياته الظلامية. "السلطة المنتخبة", ليست سوى وسيط يستخدمه أصحاب الأكف الزلقة لخنق الأمة بالديون والربا. ومن قلب تلك الإزدواجية صنعت الأنقلوساكسونية هوية بديلة للإنجليز وبقية الناطقين بالإنجليزية من البيض. لأكثر من قرنين تمرحَل التغيير الدستوري بالتوازي مع تغيير وتغيّر ديموغرافي: ضرب الملك بالبرلمان؛ بيعُ المعارضين عبيدا؛ خلقُ جيش كرومْويل كأول قوات تدخل سريع في تاريخ الجزر كاد أن ينهي اللعبة حين دبرت "المدينة" لدفع البرلمان إلى حل الجيش فانقلب الجيش على الإثنين. لكن الجارية الإمبريالية العظيمة تعلمت من تبديل العاشقين في مخدعها. هناك مثَل إنجليزيٌّ يقول, مالا تستطيع سَحْقَه, طوّعْه, ومالا تستطيع تطويعَه إسحَقْه ,What you can't squash you square what you can't square you squash. استمرت السلطة المخفية في نخر جسد السلطة وتحجيم ما يستطيع الملك أن يفعله, حتى تيسّرت الظروف لإنقلاب "الثورة الأبية" دون دماء. من "الحق الإلهي" للملك في برلمان تشارلز الأول, مرورا بـ"ملك, مجلس عموم ومجلس لوردات" في برلمان تشارلز الثاني, وحتى "نقل السيادة من الملك إلى البرلمان" مع "الثورة الأبية", أخذ الأمر وقتا. التخلص من المعارضين بالإستعباد كتغيير ديموغرافي خلق واقعا جديدا بدوره (تغيُّر في طبيعة السكان) لم تفشل المدينة في إدراكه. قوانينُ الملاحة التي أجيزت في 1651 فتحت الأبواب لبناء أكبر امبراطورية قهر عبر البحار: شن الحرب, حيازة أراضي, مراكمة رأس المال وحتى تغيير السلطة في بلاد أخرى. أما نقل السيادة إلى البرلمان فشكّل بالتوازي مع خلقِ الدّيْن العام public debt من بيروقراطية مركزية لإقراض الدولة, وضعا متفردا .. مكّن للمدينة من توحيد المملكة في 1707م. بعد موت الملكة آن, لم تـُنَصّب المدينة على أهل البلاد ملكا ألمانيا غصبا وحسب؛ بل نقلت الدم الملكي تماما إلى بيتٍ آخر. وقد مُهّد لذلك أولا في 1701 بمنع المُلك عن دين غير البروتستانتية بعد إجازة البرلمان لقرار التثبيت (بسط السلطان) Settlement Act مُستبعدا ملوك البلاد الأصليين. مرحى مرحى! إن في الإصطلاح (التثبيت) جبروتٌ ومحرقة عمرهما أكثر من نصف قرن. يقول فيرث (مرجع رقم 31 تقدم ذكره):

كان تغلّب الجيش قصير الأمد. قد يمكن لهم تطهير البرلمان وإخضاع "المدينة"؛ لكن لم ينجحوا في فرض الإستقرار في المملكة.
فيرث, عهد تشارلز 1, ص. 58, تقدم ذكره Firth, The Reign of Charles I, p.58, op cit

يمكننا أن نأتي بتكملة كلام فيرث بسلطان العلم كما يلي: ليس الجيش فقط, بل الجيش والبرلمان, ومن ورائهما المدينة وبنك إنجلترا تمكنوا أخيرا (أو هكذا ظنوا) من إعلان إستقرار المملكة في عام 1701.

وبعدها بِقرن, بعد تقتيل وترحيل أجيال من الذين قاوموا سُلطة القهر, حان الوقت لعمل هوية ثقافية أنقلوساكسونية لأهل البلاد تناسب المُلك العضود الذي خلقته "المدينة" بآل هانوفَر. لم يكن كل ذلك ترتيبا مسبق الإعداد في أديم الأرض. بل كان حقلا أجريَت واختُبِرت فيه تجارب كثيرة. في الطريق إلى نقل المِلكية من مستعمرات صاحب الجلالة, His Majesty's colonies إلى مستعمرات التاج Crown colonies تم تبديلٌ كامل لدولة: ملك, برلمان, محفظةُ إقراض, هوية. لكي يُسيطَر على العبيد في الأراضي الجديدة أعطيَ الإيرلنديون والأسكتلنديون هوية بيضاء. ثم بعد انفصال الولايات المتحدة انفصالا عنيفا تغير الخطاب إلى شعوب اللغة الإنجليزية وبريطانيا الكبرى. الخطاب الجديد لربط استحقاق "السلطة المنتخبة" وإنفصال الأمم البيضاء الجديدة في المستعمرات بولائهن للإمبراطورية – كما رأينا في هذا البحث. وأخيرا الأنقلوساكسونية. لكي يُحكم العبد يجب أن يُخبر أولا أنه أفضل وأعلى مقاما من عبيد آخرين. فيكون طاؤوس الله في أرضه, موقنا أن الآخرين عمالةٌ مهاجرة migrants/immigrants أو لاجئون. بينما هو من المغتربين expats. يجب ألا ننسى أبدا أن كل "سُلطة منتخبة" في عالم الإمبراطورية ليست سوى مستعمرة اقتصادية financial colony عن طريق محفظة مركزية للإقراض بالربا in perpetuity. في هذا العالم الإنفصامي لتدمير الكرامة الذي لا المَلِك فيه ملكٌ ولا التاجُ, تاج, يرتدي الكثيرون من غلمان البلاط هويات مزورة: إشتراكيون بلا اشتراكية؛ ديمقراطيون بلا ديمقراطية. منظمات غير حكومية في خدمة الحكومات الإمبريالية؛ معاطف بيضاء تحنِث بقَسَم الطبيب. أكاديميون مثلهم مثل التجار يبيعون قلمهم للذي يدفع أكثر (وأحيانا الأرخص). في السنوات الأولى من الألفية الثانية, وفي عام 2003م تحديدا أتحفنا أحد باحثي مدرسة لندن للإقتصاد, David Stasavage بكتاب <51> اختار له هذا العنوان: الدَّين العام وميلاد الدولة الديمقراطية: فرنسا وبريطانيا العظيمة, 1688-1789 <51>
Public Debt and the Birth of the Democratic State: France and Great Britain, 1688-1789
حيث يقول في المقدمة: "الإقتراض في أسواق رأس المال ذو ميزة, لأنه يعطي الحكومات فرصة تأجيل جزء من تكلفة تمويل البضائع العامة. الدولة التي لها مسلك للإقتراض يمكنها توسيع الإستثمار العام دون الحوجة إلى رفع الضرائب فورا." يشعر المرأ بحاجة للتقيؤ. لم يكتف المؤلف بتمجيد الدَّين العام, بل ربطه بالدولة. وليته قال "الدولة المنتخبة".

للذين يقرؤون وقد يتفقون معنا:

من تاريخ بحثنا في مسألة الديمقراطية والتحيز يمكن القول إن الذين باعوا أممهم وما يربطهم بالإنسانية لهم في عمر هذه القضية أربعمائة عام مما تعدون. لكن الخطاب الأنقلوساكسوني أكبر مآزقه أنه يُشرعن الإستعباد في جزر صغيرة ومتناثرة يقطّعها قطعا فينشغل الناس. هناك رجال ونساء من كل الأمم, أوربا, أفريقيا, آسيا, إلخ, هناك أمريكيّو النشأة, بلاطيّو الهوى ممن يعملون بإخلاص لأجل الإمبراطورية على حساب أوطانهم. في تقديرنا لا توجد حلول سهلة أو بخرات أولياء مع هذا البرج الملعون الذي بابل بريئة منه. لكن يمكن في البداية للعاقل أن يفكّر في أيديولوجيا الكونية العالمية الأنقلوساكسونية. فيأخذ خطوة تباعد بينه وبينها. إقفال المذياع والإمتناع عن الأخذ والرد مع كل رسل "المدينة" وأنبيائهم الكاذبين. أن تعلن خراف الرب الضالة قرفا جماعيا من جشع اللورد العمدة ومدينة عصوره الوسطى الظلامية في إدعائهما للربوبية. أن يعلن يوم عالمي للإستحمام والإغتسال من شبق "لندن المدينة". أي يستطيع من يقدر بهدوء ودون تراجيديا إغريقية مقاطعة المهرجانات والإحتفالات والمسابقات الرياضية التي تجلب مزيدا من الدعاية للمدينة. لتجاهل فرص الدراسة في مدرسة لندن للإقتصاد, برنامج صباح الخير, بريطانيا, المسلسلات ووسائل الإتصال التي تمجّد أسلوب العبد الذي يشتري ببطاقة الإئتمان ولا يدري حتى أنه عبد. مقاومة أيديولوجية الأنقلوساكسون, إعتراف بهوية مزورة فرضت على شعوب مقهورة في كل الجزر البريطانية .. وتضامنا مع ملايين العبيد البيض والعبيد من كل الألوان الذين لا زال بينهم وبين المدينة الآثمة ما صنع الحدّاد: بطاقة البنك التي تسمح لكل فلس وقرش في اقتصاديات العالم أن يكون للمدينة القديمة منه عمولة.

للذين يقرؤون وقد لا يتفقون معنا:

لا بأس. لكن إن كان لديكم نظرة أفضل لتفكيك "المدينة" فألقوا ما أنتم ملقون.

"المقام" the Order

بصدد أشهر المقامات: في الأيام الأخيرة من كل عام شمسي تُذاع أسماء من أنعِم عليهم من نجوم ومناديب البلاط الإمبراطوري, ويدعون لحضور حفل لتوزيع الألقاب, ومنها:

ترجمة اللقب	اللقب	إختصار لـ
عضو بالإمبراطورية البريطانية	Member of the British Empire	MBE
ضابط بالإمبراطورية البريطانية	Officer of the British Empire	OBE
قائد بالإمبراطورية البريطانية	Commander of the British Empire	CBE

نادرا ما يُعلم أن اللقب المُنعم به إسمه بالكامل, بـ مقام الإمبراطورية البريطانية, أي of the Order of the British Empire. مثلا OBE تعني Officer of the Order of the British Empire.

الخلاصة (أ)

بينما الملوك في الجزر البريطانية يتغيرون ويتعاقبون كمواسم السنة؛ وتمر فيها حقب شداد على الناس فينكرون أنفسهم من الكرب, كانت السياسة الخارجية ترسم شواظا من نار من حد الأفق إلى حده. تأتي بخراج المشارق والمغارب, حيث التجارة من البشر إلى التوابل, حربا, قرصنة ونهبا للأمم. ورأيُنا دون إطالة أن السياسة الخارجية للجزر البريطانية قبل أن تسمى بريطانية هي مفتاح السلطة الحقيقية هناك. ما يجري بالداخل, رغم أثره العكسي على السكان, ليس سوى ظلال للعرض الكبير وراء الحدود. أما الملوك: من كرومْويل وحتى وليام البرتقال William of Orange ومن تلاه فهم أبطال وحسب في أدوار قد تكون أكبر منهم. وتلك الأدوار يبين البحث المتأني أنها دائما تؤدي إلى "المدينة".

الخلاصة (ب): الحذرُ مِن أن نُؤتى مِن مأمَنِنا

الخونة (بالمعنى الحقيقي للخيانة) لمؤسسات أوطانهم, صحفهم طال الزمن أم قصُر ستُنبش وتذرها الريح. أما الذين يقيمون وزنا لذكاء قرائهم بعد أن يقفوا بصدق في وجه تاريخ لا يرحم الدجالين, فقد تركوا لنا مما خطته أقلامهم ما نحكم عليهم به بالعدل. دِقبي لم يذكر الإمبراطورية البريطانية في كتابه الموثق هنا سوى في موضعين؛ في الموضع الأول:

> لقد أصبح مرغوبا به من كثير من طبقة اللوردات وكرام الناس, كما هذا البلاط الإنجليزي, مثلما بلاط تلك الممالك الشهيرة في إيرلندا وسكوتلندا, التي هن سعيدات باتحادهن في إمبراطورية عظمى, أن يصاغ تاريخٌ موجز وكتاب إرشاد manual لفائدة كل شباب هذه المملكة المتحدة؛ حيث في طياته سيعلَّمون من الدروس ما يختص بالتعليم الرفيق, دروس التقوى والبطولة, الإخلاص, الكرم والشرف؛ حيث بمقتضى ذلك يمكن تدريسهم, كخدّام لملك بريطانيّ, وكـ جنتلمين (في الجمع, م.س).
> دِقبي, المقدمة, ص. xi

هذه الصياغة تدخل الريبة إلى روع المرْء. لا نعرف أيّا من شباب الجزر البريطانية في عصر إستعمارهم لبلداننا بإسم الملك والإمبراطورية, جنديا أو جنرالا ممن لم يتعلم "دروس التقوى والبطولة, الإخلاص, الكرم, والشرف" قبل أن يرتكب عكس كل ذلك ودون أن يطرف له جفن. مرة أخرى, إن قدرة العقلية الظلامية الأنقلوساكسونية على دمج المتناقضات, تجعل المرأ يجعلُ بينه وبين كلام دِقبي شعرة معاوية ومسافة رجوع. من تجاربنا المريرة, هذه الجزيرة هي أول بقعة على ظهر هذا الكوكب سُلِبت ذكورتها بيد تجار "المدينة" بكل ما تحت الشمس من مكر وملعنة. فإحتمالية أن يكون لسان الخطيب مشقوقا هو ببساطة a risk we shall have to consider.

رَهَق: الموت بشجرة الديمقراطية: إنتهاكات السلطة ومحترفو خدمات الشفاه

حين يصوَّر خداع الحكومة المنتخبة عبر ضفتي الأطلنطي البرلمان والكونقرس على الترتيب كإكتشاف مدهش .. حين تُساق الأمة إلى حرب تفتك بالناس, البيئة والبنية التحتية في جزء بعيد من الكرة الأرضية تحت ذريعة واهية ويوصف ذلك بـ "فشل ذريع" لأجهزة

المخابرات .. حين تُعمل حوارات ب"مستمعين" ومشاهدين حاضرين أو من البعد, يتم التساؤل فيها عما إذا توجب "علينا" الخروج من تلك الدولة البائسة في العراق, أفغانستان, سوريا, الخ .. حين تُسمع الإجابة هذه من أصوات بآكسنت أوكسفوردي يعتقد كل من أصحابها أنه ببغاء الله في الأرض لتلقين الناس ديالكتيك الحرية .. أو الإجابات تلك بأن:

ما صنعناه في العراق فوضى كبيرة ويجب أن نرتب آثار الفوضى
what we did in Iraq is a big mess and we need to clear it up

حين تُسمع نفس اللكنة الأوكسفوردية طارحة أو مجيبة على السؤال:
How can lessons be learned from this, so it does not happen again?

حين تتتابع زمر إشتراكيّي البلاط وحواريّي تنميته المستدامة لبث أسطوانة "الإنفجار السكاني" وشح الموارد الأرضية .. حين يُقدّم مندوب للأنقلوساكسون في منظمات قد تختلف أسماؤها وأشكالها "بريزنتشين" زاهيا لا يخلو من هذا المحتوى: سيداتي وسادتي, أقدم لكم نموذج كعكة السياسة والموارد لكل الإنسانية (أتمنى ألا يعتقد الناس أن المعلن إتاحته متاحٌ فعلا) – يدرك المرء إدراكا تاما ألا حل لمشكلة خطر الموت بشجرة الديمقراطية الواصلة التي تشفط المياه وتستحوذ على البيئة المحلية, غير تربية قارض يأكلها من الجذور وحتى آخر صفقة. إن محاولة زرع شجرة "بديلة" في مناخ ديمقراطية التحيز الأنقلوساكسوني يشبه مشروعا عملاقا للبنية التحتية على رمال متحركة.
نتفق مع الإقتراح الذي طرحته الباحثة, د. كارتر بعد إثارتها وإثارتنا تساؤلات حد الدهشة: "في التركيز على,هل يدفعنا عصر الثورات لفتح تحقيق في كيف وبأيّ نتائج أصبحت السلطة المنتخبة تعتبر شكلا من أشكال الديمقراطية," كارتر, مصدر سبق ذكره.

علاقات القوة: إنظر فالبداياتُ كواشفٌ

إحدى الإجابات, كما نقترح (في إنتظار رأي د. كارتر) أن الخلط بين الديمقراطية والسلطة الديمقراطية على حدة, وبين السلطة الديمقراطية والسلطة المنتخبة مفتاحه <u>علاقات السلطة والقوة</u> وراء اللاعبين الذين يظهرون في فترات السلم كما فترات الحرب للعب أدوار محددة (إنقلابات, ثورات حقيقية أو غير ذلك, شن الحروب, شن السلام, إفساد الآخر, تصفية موارد الأمم تحت ستار مريح, وقس على ذلك). هذا التحقيق قديم قدم الزمان. ولكن الأسوار العالية التي تحجب الحقيقة لسن بالعقبة الوحيدة التي تقف في وجه الباحثين. هناك أيضا التشويش: دخان أمام صورة المرآة يمكن أن يتكثف حاجبا أو مضللا الرؤية في لحظة؛ وأخطر شيئ هو عندما لا يبدو أنّ شيئا يحدث .. في فترة الإستراحة بين أشواط اللعب. في فترات اللاحدث يجب على القارئ واللاعب أن يتدرّب ألا يترك فاه مفتوحا, حيث يمكن للفئران التسلل بهدوء إلى مخزن الجُبن. في انتظار السلام, على المرأ أن يلعن التثاؤب وينحّيه جانبا. هذي بلادنا, وذاك الضبابُ يفصلنا عن تاريخنا. فلْنَستَعِدْه بالوعي.

زاد الطريق

في الختام, لتفكيك "سوء الفهم" الذي قصدناه, لزم الرجوعُ حوالي أربعمائة سنة إلى الخلف. هذا البحث يقول بوضوح الشمس إن المشكلة الآن هي حصيلة مسيرة التاريخ منذئذ: اللورد العمدة, و"المدينة". ليست هذي أشياءَ ثانوية يمكن للمرْء الذهاب إلى النوم ناعسا ويتركها خارج مخدعه. نسأل, ألُعبةُ الديمقراطية (الأصلية أم المزورة) محض دخان يشوش ويشوّه الصورة؟ هذا ليس هو المهم—المهم هو ألا نقع في فخ الخلط بين الدولة والسلطة المنتخبة.
أيها السادة, فلتكن جملتنا مفيدة: دون وأقل من وظيفتها الأساسية (شن الحرب) لا يوجد أي تعريف أكاديمي للدولة قابل للصمود أمام الإستنطاق يعرّفها في إطار الديمقراطية. فتعريف الدولة ببساطة: الكيان القادر على شن الحرب (المراجع في الهوامش من 24 إلى 26).
الدولة إما تشن الحرب خارج حدودها, وهذا يجعل الحرب سجالا – game on بنِدّية مع دول أخرى؛ أو داخل حدودها, وهذا يعني أنها ضد أمّتها, ضد السكان, البيئة والحياة. وفي هذه الحال فهذا يعني أن الدولة المستهدِفة لشعبها إما عميلة لدولة أخرى, أو لـ "المدينة", كأكبر مجلس لإحتكار شن الحرب على ظهر الكرة الأرضية.
الذين يتحدثون بطريقة, "إحنا قلنا حكومة كفاءات" و"ما عاوزين محاصصة حزبية", فهذا ذر للرماد في العيون. في النهاية والأربعمائة سنة الماضية تشهد, لا خير في دولة دينية ولا أخرى ديمقراطية, قبل حسم الحد الأدنى: قدرة وجاهزية لشن الحرب خارج الحدود وصدّها, سجاليا (دفاعيا), كما وقائيا (الردع بأخذ المبادرة في توجيه الضربة الأولى). أما الذين يقولون بإن لديهم الغيرة على دين الله وشرع الله, وما أنزل الله, فلم ندخل إلى قلوبهم لنعرف نواياهم, ولكن يجب عليهم مواجهة أنفسهم قبل أيّ شيئ آخر: ما نحن فاعلون بشأن اللورد العمدة ولندن المدينة the City of London, التي هي الإمبراطورية البريطانية؟ لأن البديل عن النقد الذاتي هو أن يأتي تنظيم عميل للإحتلال الإسرائيلي يقدم نفسه كممثل وحامٍ للدين ولمقدّرات الأمة. كما تقول المراجع, بما فيها مراجع الإخوان المسلمين: "الفترة عشرين سنة منذ حرب 1967 لم تقدّم حماس أيديولوجيا مقاومة وطنية ضد الإحتلال الإسرائيلي". بل كانوا عونا للإحتلال <52>[66] على المقاومة الفلسطينية بمختلف مشاربها (ليست الأفضل, لكن على الأقل "قاومت"), وكانوا يتذرعون بأن الوقت لم يحِن بعد, ويجب تربية الجيل أولا, وبقية الأعذار التي لا تسمن ولا تغني من جوع. وحتى لا ننسى, فلنتذكر عملية موشي لنقل يهود الفلاشا عبر السودان. ما هو دور قيادات من الإخوان المسلمين في هذه العملية؟ تمرين للقارئ! **في النهاية** شنُّ الحرب لا ينفصل البتة عن حل مأزق التبعية للبنوك المركزية ومؤسسات التمويل. لأن التبعية تعني عبودية الدولة والأمة لـ "المدينة".

66. هل سمع الناس بكتاب "داخل حماس"؟ ولا نقصد "حماس من الداخل" كعنوان مضلل للباحث تبارى عدد كبير من الأقلام المأجورة داخل الحركة الإسلامية لوضع مؤلفات معنونة به لتشتيت الإنتباه عن 'Inside Hamas' لزكي شهاب, صدر في 2007م.

تفاصيل:

1. عند المواجهة (وهذه لا مفر منها) نتذكر جيدا أن ترسانة القوى العكسية بإمكانها لعب نقلات انتظارية كثيرة في مواجهة جهد محدود. ما نود قوله للباحثين عن حلول معقولة, ليس هناك مفر من أن يكون المرء مستعدا دوما لحصارٍ سيقول مرتزقة التاريخ إنه كان ضروريا.

2. للقراء: بشيئ من الفذلكة, هناك طريقتان على الأقل لسبر غور الوقائع: مواجهة التاريخ من الأمام, أو التسلل إليه من الخلف. المهم هو ألا يسقط الباحث في فخ عالم من ورق فيتورط في أوهام أكاديمية يحسبها حقيقة. أو حتى أحلام جديرة بالحلم, لكنها أولى بالمراجعة.

3. ومن أهم الأولويات كذلك إيجاد مشروع بديل: كتابة, مادة, وبث أولى بالإحترام, ومعهم خطة مفاوضات مع الذين قد لن يكتفوا بـإفساد العرض, بل منعه وربما اعتقال صاحب المادة . ما أن يجيئ الخطاب يجب أن يكون ملما متمكـّنا لدرجة يصعب أن يختطف مساره. وهذا لا يتأتّى إلا بالتمرّس على تفكيك التركة التاريخية, والإحتفاظ بالأنفع بعد البحث. والقدرة على التقاط المرء لنفسه بعد عناء الطريق. ليس هناك وصفات سحرية للحل, لكن هناك تحذيرات متكررة لدرجة الملل بتفادي الأخطاء الأساسية. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

4. بالنسبة للاعبين الأساسيين في السلطة المنتخبة, فنقول باقتضاب, لا نعطي الخصم أكثر مما يستحق. فاللاعبون يصنعون التغيير بتأثير خارجي. أما الداخلي فهو تغيّر يصنع نظامه وعشوائيته بنفسه. ما نود القول هو, بدلا من أن يستسلم المرء لبروباغاندا ماكيافيلية عن تفوق العدو, الأفضل أن يراقب المرء بيئته. وأن يتحوّل بالتدريج إلى مَركم للتجارب.

5. من مرارات الخيبات المألوفة تعلمنا أن أصحاب الألسنة المشقوقة من نادي جغرافيا القهر الإمبراطوري لم يتطوروا كثيرا في بحر الثلاثمائة سنة الماضية. بل لعل الإنتكاص (رجوع إلى مرحلة بدائية) يناسبهم أكثر. الراحل سمير أمين تسرع قليلا فبدأ في التوثيق لبقْر الرأسمالية The Implosion of Capitalism. أمين الذي نعرفه لو قدر له أن يعيش أطول لصوّب الخطأ بشيئ من النقد الذاتي. التصويب هو أنّ ما يجري هو انتفاخ الرأسمالية, أو طغيان الوحش. وهذا ليس شيئا جديدا, وإن بدا للبعض كذلك. سيكون ذلك صداعا وتحديا لكل الشرفاء بالتأكيد, ولكل جيل ما يستحقه من التحدي. المهم في الإستعارات والمجاز أن يعالـَج الأمر ويكون المرءُ جزءً من الحل كأفضل ما يكون بيانا وقدوة. ففيما يخص القضية المثارة هنا, نختم فنقول إن أربعمائة سنة أو تزيد من ليل الديمقراطية الطويل لم تنجح سوى في نكئ الجرح القديم وإثارة مزيد من الكفر بسوس الديمقراطية البرجوازية.

مازن سخاروف, 17 أكتوبر 2020

المراجع الرئيسية

REFERENCES

1. Reginald Horse, ‘Origins of Racial Anglo-Saxonism in Great Britain before 1850’, in Journal of the History of Ideas, Vol. 37, No. 3 (Jul. - Sep., 1976), pp. 387-410

2. Charles Wentworth Dilke, ‘Greater Britain: A Record of Travel in English-Speaking Countries during 1866-7' (2 volumes), London, 1869

3. Mohamed Ahmed Mahjoub, ‘Democracy on Trial: Reflection on Arab and African Politics’, London, 1974

4. قراهام (قرايَم) ف. توماس, السودان: الصراع من أجل البقاء, ترجمة الطيب الزبير الطيب المنصور,1995

5. John Spencer Trimingham: ‘Islam in the Sudan’, second edition, London, 1965

6. Association of Diplomatic Studies and Training, ‘interview with Robert Oakley’, 7 July 1992

7. Charles Bruce (Sir), ‘The Broad Stone of Empire: Problems of Crown Colony Administration’, vol 1, London, 1910

8. Caroll Quigley, ‘The Anglo-American Establishment: from Rhodes to Cliveden’, 1981

9. H. G. Wells, ‘Anticipations of the Reaction of Mechanical and Scientific Progress Upon Human Life and Thought’, 4th ed., London, 1902

10. Katlyn Marie Carter, ‘The Invention of Representative Democracy’, Jul 23, 2018

11. R.R. Palmer, ‘*The Age of the Democratic Revolution: a Political History of Europe and America, 1760-1800 ‘, 2 vols.* (Princeton: Princeton University Press, 1959-1964).

12. Cromer (Earl of), ‘Modern Egypt’, vol. 1, pp.237-38, London, 1908

13. Alex C. Castles, ‘The Reception and Status of English Law in Australia’, 1963

14. George Burton Adams, ‘Constitutional History of England’, revised edition, 1935 (628 pages).

15. Harold D. Hazeltine, ‘Appeals from Colonial Courts to the King in Council, with Especial Reference to Rhode Island’, p.299, in Papers from the Historical Seminary of Brown University, by J. Franklin Jameson (Ed.), vol VII., 1896

16. E. C. Knuth, ‘The Empire of the City: The Jekyll/Hyde Nature of the British Government’, 2nd ed., 1944

17. The Earl of Halsbury , ‘The Laws of England: A Complete Statement of the Whole Law of England’, 1909, vol 6, p.427.

18. Steve Jones, ‘No Need for Geniuses: Revolutionary Science in the Age of the Guillotine’, London, 2016

19. thecanadaguide.com last accessed 19/Oct/2020

20. Harry H. Johnston, ‘The Negro in the New World’, 1910, London

21. Hugh Edward Egerton, ‘A Short History of British Colonial Policy’, London, 1897

22. https://www.nationalgeographic.org/article/new-england-colonies-use-slaves/ last accessed 19/Oct/2020

23. Janice E. Thomson, ‘Mercenaries, pirates, and Sovereigns: State–building and Extraterritorial Violence in Early Modern Europe’, 1994, Princeton, US

24. Anthony Sampson, ‘The Seven Sisters: the Great Oil Companies and the World’, 1975

25. Pauline Gregg, ‘King Charles I’, 2001

26. C. H. Firth, ‘Cromwell's Army: History of the English soldier during the Civil War, the Commonwealth and the Protectorate’, London, 1902

27. ‘Letters from the League before Colchester’ [to the House of Commons], in John Rushworth (ed.), Historical collections, 1618-48 (8 vols, London, 1701), part 4, p.1236

28. James Burke, ‘The New Model Army and the Problems of siege warfare, 1648-51’, 1990,

29. James Mullin, ‘Irish Famine Education and the Holocaust “Straw Man”’, 08 July 2008

30. John J. Schroeder, ‘London and the New Mode Army, 1647’, 1957, in The Historian, 19.3

31. C. H. Firth, ‘The Reign of Charles I’, in Royal Society Transactions, 3rd series VI, London, 1912

32. T. H. Lister, ‘Life and Administration of third earl of Clarendon’, vol 1, 1838

33. T. H. Lister, ‘Life and Administration of third earl of Clarendon’, vol 2, 1838.

34. James Davie Butler, ‘British Convicts Shipped to American Colonies’, in American Historical Review, Oct 1896

35. Paul Chamberlain, ‘Hell upon Water: Prisoners of War in Britain, 1793-1815’

36. Andrew Barrett and Christopher Harrison (Ed), ‘Crime and Punishment in England’, 1999

37. T. H. Lister, ‘Life and Administration of third earl of Clarendon’, vol 3, 1838

38. A. Andréadès, 'History of the Bank of England', vol. 1, Trans. By Christabel Meredith, London 1902

39. John Clapham, 'The Bank of England: A History', vol 1, p.14-15 London, 1945

40. Vincent C. Vickers, 'Economic Tribulations', London, pp.41-42, 1942

41. https://www.britannica.com/topic/Bank-of-England last accessed 17/Oct/2020 last accessed 19/Oct/2020

42. John Griffith, 'Imperial Culture in Antipodean Cities, 1880-1939', Palgrave Macmillan 2014

43. Nicholas Rogers,. "Popular Protest in Early Hanoverian London." *Past & Present*, no. 79, 1978, pp. 70–100. *JSTOR*, www.jstor.org/stable/650249. Online, last accessed 20/Oct/2020

44. Basil Williams, 'Stanhope: A Study in 18th Century War and Diplomacy', Oxford, 1932

45. Adrian Randall, 'Riotous Assemblies: Popular Protest in Hanoverian England', p.23, OUP, US, 2006

46. 1717: 4 George 1 c.11: 'An act for the further preventing robbery, burglary, and other felonies, and for the more effectual transportations of felons, and unlawful exporters of wool; and for declaring the law upon some points relating to pirates', in Statues at large. John Raitby, quoted by Barrett and Harrison, Reference [36]

47. 'An Act for the preventing of the horrid crime of murder, 25 Geo. II, cap. 37', in Statues at large. John Raitby, quoted by Barrett and Harrison, Reference [36]

48. 25 Geo. II, cap. 37, in Raitby, 'Statutes at large'

49. https://www.britannica.com/topic/forced-labour , last accessed 19/Oct/2020

50. Kenelm Henry Digby, 'Broad Stone of Honour', London, p. xiii-xiv, 1823

51. David Stasavage, 'Public Debt and the Birth of the Democratic State: France and Great Britain, 1688-1789', 2002

52. Zaki Chehab, 'Inside Hamas: The Untold Story of Militants, Martyrs and Spies' , 2007

مراجع أخرى

Samir Amin, 'Capitalism the Age of Globalisation'. 1997

Sigmund Frued, 'Totem and Taboo: Resemblances between the Psychic Lives of Savages and Neurotics', trans. by A. A. Brill, New York, 1918

Sandor Marai, Confessioni di un Borghese (in Italian), 2003

Archives Parlementaires de 1787 à 1860, Volume 57: du 12 janvier 1793 au 28 janvier, 1793 (Paris: Librairie administrative de P. Dupont, 1862-1913

Paul Friedland, ‘Political Actors: Representative Bodies & Theatricality in the Age of the French Revolution’, 2002

Archives Parlementaires de 1787 à 1860, Volume 56: du 29 décembre 1792 au 11 janvier 1793 (Paris: Librairie administrative de P. Dupont, 1862-1913), 561.

Levy, Tudor Historical Thought, 143; Jones, Triumph of English, 220-23, 232; Brinkley, Arthurian Legend, 55-61; Kliger, Goths in England, 115-19; Kendrick, British Antiquity, 116-20.

Anglo-Saxons and Celts: A Study of Anti-Irish Prejudice in Victorian England

Charles Tilly, ed., *The Formation of National States in Western Europe,* 1975, (Princeton: Princeton University Press, U.S

William T. Cavanaugh, Killing for the Telephone Company: Why the Nation-State is not the Keeper of the Common Good, Modern Theology, April 2004

Kenneth R. Andrews, *Elizabethan Privateering: English Privateering during the Spanish War, 1585–1603*

Joshua Sprigge, Anglia Redeviva, 1647

John Walter, Understanding the Popular Violence in the English Revolution, 1999

O Siochru Micheal. God’s Executioner: Oliver Cromwell and the Conquest of Ireland, 2008

C. H. Firth, The regimental history of Cromwell's army, 1940 [1991], OUP, USA

Karl Marx, Das Kapital, vol.1,

Jared Diamond, Guns, germs and steel,

Alfred Crosby , Ecological Imperialism: the Biological Expanion of Europe, 900-1900,

Mike Davis, Late Victorian Holocausts

Alexander Solzhenitsyn , Gulag Archipelago, vol 1

Henry Mcleod, Theory and Practice of Banking, London, 1906

James Joyce, Ulysses, Random House ed, 1922

Journals of the House of Commons (JHC), vol. 10, 630-632: https://www.british-history.ac.uk/commons-jrnl/vol10/pp619-621

Anthony Aufrere, The Lockhart Papers, (two volumes), published 1817

Tacitus, Germania, trans. by R. B. Townsend, London, 1894

Samin Amin, the ‘Implosion of Capitalism’, PlutoPress, 2014

الملحق 1: تجاني وضابطة الهجرة في بريطانيا

الولي تجاني, مواطن سوداني يتقن بجانب العربية, الإنجليزية والإيطالية. أرسل لي من معتقله رواية يولِسِيس Ulysses, للكاتب جايمس جويس من إيرلندا. وكانت النسخة النادرة من إصدار دار نشر راندَم Random House, لعام 1922. تجاني أعتقلته السلطات البريطانية في ميناء القُدوم, الذي لا أعرفه. لكني أعرف أنه أرسل إلى معتقل Oxford Campsfield House في انجلترا. في نهاية عام 1998, ربيع عام 1999 كانت بيننا مراسلات. طلب مرة سماعة أذن headphone فأرسلتها إليه في سجن روشتر Her Majesty's Prison, Rochester بمقاطعة كنت Kent. السجن هو أحد الأماكن التي تضع فيها وزارة الداخلية البريطانية طالبي اللجوء, حيث تضعهم في قسم مخصص إسمه القسم دال D Wing. في تلك الفترة معظم أطباء السجن المخصصين لطالبي اللجوء من الهنود أو الباكستان من غير البريطانيين. في رأيي سياسة استعمارية. إذ من ناحية, يمكن التحكم في المعتقلين بشكل أفضل إذا ما كان الطبيب غير أبيض (حتى لا يتهم بالعنصرية). ومن ناحية أخرى, إذا كان أجنبيا فيسهل إملاء الأوامر عليه. السجن شهد احتجاجات ضد الاحتجاز لفترة طويلة وضد تلاعب ضباط الهجرة Immigration Officers (هم ينفذون الأوامر فحسب) بقضايا اللاجئين عن طريق تعطيل هؤلاء بالإجراءات والتسويف الذي مصدره بالطبع وزارة الداخلية البريطانية. من أشهر الإحتجاجات كان إضرابا جماعيا عن الطعام بث في إحدى القنوات البريطانية (إما بي بي سي, أو ITV).

في بداية عام 1999 حاول أحد السودانيين الذي تعرّفت عليه بصورة عارضة (للأسف نسيت اسمه) بالترتيب لزيارة تجاني في معتقله بسجن روشسته. تحددت الزيارة مرتين أو ثلاثا, ثم تم إلغاؤها في آخر لحظة, دعنا نقول في اليوم السابق للزيارة كما أذكر. كنا ثلاثة الذين حاولنا زيارة تجاني. هذا السوداني وشخصي والصحافي السوداني المعروف معاوية يسن. أرجو أن يكون الإثنان بخير.

آخر خبر عن تجاني في تاريخه أن السلطات البريطانية قامت بترحيله إلى السودان في فترة ما في عام 1999, وذلك بعد أن رفض تغيير أقواله بصدد مشكلته مع ضابطة الهجرة في محضر اللجوء.

ملحوظة: وزير الداخلية البريطاني جاك سْترو Jack Straw عنده لقاء مع راديو ون Radio one مع الإذاعي الراحل Nick Clarke أنكر فيه سترو أن وزارة الداخلية البريطانية تعتقل اللاجئين.

سترو في مناسبة أخرى, أحرجه صحافي بريطاني لأن سترو شوهد يصافح "الديكتاتور" روبرت موقابي ربما في أحد أروقة الأمم المتحدة أو على هامش أحد المؤتمرات. أجاب سترو بابتسامة ساخرة أن الدنيا وقتها كانت مظلمة:

It was dark.

الملحق 2: ترتيب الحكام في الحرب الأهلية الإنجليزية:

تشارلز الأول: أعدم في يناير 1649

أوليفَه كرومْوِل: مات في 1658

إبنه ريتشارد كرومْويل: حكم لسنة واحدة, 1658-59

1659-1660: أزمة دستورية

الحرب الأهلية (ثلاث حروب) انتهت رسميا في عام 1651, وهو طبعا عام سن قوانين الملاحة Navigation Laws

نوصي القارئ بعمل فهرس للأسماء الواردة في النص: ملوك, رجال دولة, مع الوقائع المهمة. مثلا:

رقم	الإسم, الحدث	التاريخ\تفاصيل\المرجع\مذكور في صفحة
	معركة نيزبي Nasbey	؟
	الحكم الرشيد	؟
	تشارلز الأول	أسر؛ عُرض عليه الملكية الدستورية ؛ رفض؛ هرب؛ أسر مرة أخرى؛ ظل على موقفه أعدم في يناير 1649م
	لويس السادس عشر	أسر؛ عُرض عليه الملكية الدستورية ؛ رفض؛ هرب؛ أسر مرة أخرى؛ ظل على موقفه أعدم في يناير 1793م
	إعلان بريدة Breda Declaration	؟
	السلطة الديمقراطية democratic government	
	جايمس الثاني James the Second	؟
	الثورة الأبية Glorious Revolution	؟
	؟	تشريع مرره برلمان مستعمرة برمودا في 1667 لتنظيم الزنوج وعبيد آخرين: سجناء سياسيين إنجليز, إيرلندين, وويلزيين
	ديلكه Charles Wentworth Dilke	؟
	السلطة المنتخبة representative government	
	مستعمرات	؟
	السلطة الكفؤ responsible government	
	؟	dominions
	اليعاقبة (فرنسيون جمهوريون؛ أو إنجليز ملكيون), فيُرجى الحذر	Jacobites (English); Jacobins (French)
	سنة وظروف إنشاء بنك إنجلترا Bank of England	؟

XCVIII.[1]

Sir Henry Bennet to Charles II.

[From the Bodleian Library.]

In obedience to your Ma^{tys} commands, I have here sett downe in writinge what you allowed me to discourse to you yesterday, that the sufficiency of it may be better considered. The conclusion of all which are, that it imports your Ma^{ty}, in this conjuncture, to strengthen your authority by all the meanes and wayes y^{e} Lawe allows you, since the dissatisfaction towards y^{e} present Government (though, God knows, very undeservedly) is become soe universal that any small accident may put us into new troubles, though they should not as yet bee throughly designed by those that wish for them. The city of London being immediately under y^{r} Ma^{tys} eye, will, I make noe doubt, bee easily kept quiet by those troupes you have in and about it, w^{ch}, if occasion bee, will very easily and quickly double their numbers, soe there bee money founde to pay them part of there arrears; and, if neede bee, a regim^{t} or two may be added to them from Dunkirke, with which not only the city, but the country too that is in any reasonable distance, may be secured. That which therefore wants a visible helpe is y^{e} rem^{der} part of the Kingdome, where, in this interval betwixt y^{e} ceasing of y^{e} old and y^{e} establishing of y^{e} new militia [2], there will want a present force to quiett any dis-

1 This remarkable letter, which is without date, appears by the context to have been written between the close of the session of parliament May 19. 1662, and the 24th of August, when the Act of Uniformity came into operation. It was probably written soon after the former of these periods.

2 "We have already, according to our duties and the laws, declared the "sole right of the militia to be in your Majesty; and now, with your per-"mission, we humbly tender your Majesty a bill for the better regulation "and ordering these standing forces of this kingdom, whence we have taken "care to make all things so certain, that your Majesty's Lieutenants and

order that may happen, and whither it will not be easy to make any part of y^e^ troupes y^r^ Ma^ty^ hath here march, for want of money, if it could be thought fit to spare them from home, which I think would not be counsellable in this conjuncture, when we remember what it cost us in the last rebellion, the having the citty of London against us. To secure, therefore, this point, I will not only presume to sett downe what in my judgment must bed one, but also what must be avoided, that, by balancing them both (for there appeare to me to be but two remedyes neare at hande), it may bee better judged which is the more sufficient one, and appearing to be soe, it may presently bee putt in execution, the occasion requiring it now. And above all things, there must be avoided, by any complyance or easinesse, upon what specious grounds soever, the giving the discontented partyes a beliefe that they have created in your Ma^ty^ any feare of them; for they will effectively gaine courage by it, and those that are most faithfull to you will lose it, and with whom the present Parliament (which may truly be saide to be y^e^ onely bulwarque now betwixt the disaffected people and the government), where, finding what they have done either undervalued or disowned by y^r^ Ma^ty^, will, at the last, become soe uneasy as to oblige y^r^ Ma^ty^ to dissolve them, w^ch^ I will presume to say were one of the greatest misfortunes that could befall you, to loose them, or to neede a new Parliament house before the kingdome bee better settled; and this is what I say must be avoided.

2021.07.15: draft 67 قائمة تصويب الأخطاء وتحرير النص بمسودة النسختين الإلكترونيتين السابقتين

ص	موضع النص	عُدّل إلى
	المسودة #67:إضافة إسم المؤلف الحقيقي	مازن سخاروف (معاذ عبدالله)
	تعديل العنوان	الديمقراطية والتحيز: رحلة أيديولوجيا في المنطقة الظلامية الأنقلوساكسونية
	أخطاء طباعية أخرى	صُوّبت الأخطاء وحُرّرَ النص في مواضع أخرى
A	لم تكن هناك صفحة بهذا الرقم	إضافة صفحة الترقيم الدولي وحقوق النشر
ii-i	جدول المحتويات, بما يشمل: 19. جدول 2: الإنتهاكات البريطانية ضد الأسرى, والحروب البيولوجية والبيئوية	(تحرير طفيف بجدول المحتويات), بما يشمل: 19. جدول 2: الإنتهاكات البريطانية ضد الأسرى, السكان, والحروب البيولوجية والبيئوية
iii	Balnce of Power	Balance of Power
1	إيميل المراسلة لـ دبال	jsrl@London-eth.com
5	في كتابه الإسلام في السودان <5> وهو يصفع المثقفين السودانيين صفعا بلا هوادة فيه, فيتهمهم بالجبن الإجتماعي والإنفصام والشهوانية.	في كتابه الإسلام في السودان <5> وهو يصفع المثقفين السودانيين صفعا بلا هوادة: فهم: " الأغلبية (يحدث لها, م.س) إنفصام شخصية", ص. 258, "الأفندي .. مثقف جبان ... ما يتلقاه من تعليم غربي لا ينتج شخصية نزيهة", ص. 259
10	هامش 6:'the aborigine's dread of incest' هامش 7: إنظر كتاب مذكرات برجوازي	هامش 6:'the savage's dread of incest' هامش 7: إنظر كتاب إعترافات برجوازي
18	جدول رقم واحد	جدول 1
18	أسقط تاريخ إصدار المرجع في الإقتباس	1963
26	هامش 21: وهنا من يقول	وهناك من يقول
31	العنوان غير كامل: Seven Sisters	The Seven Sisters: the Great Oil Companies and the World they Made
35	الكلاب والفئران	الكلاب والقطط
36	ظروف حصار وأخذ مدينة إسكس	ظروف حصار وأخذ مدينة كولشِسْتَـه
36	هامش 32: and the Holocaust "Straw Man	هامش 32: and the Holocaust "Straw Man"
37	هامش 33: فرانكو في فرنسا	فرانكو في أسبانيا
41	إستخدام الحرب الجرثومية	الحرب الجرثومية والإيكولوجية
41	الجدول بلا رقم أو عنوان	الجدول 2: الإنتهاكات البريطانية ضد الأسرى, السكان ,والحروب البيولوجية والبيئوية
41	المادة داخل الجدول	تنقيح للمادة داخل الجدول
42	هامش 39: صححت بعد الأخطاء	صححت بعض الأخطاء
43	هامش 40: صفة وطنية متخذاخا إسم البلاد	صفة وطنية متخذا إسم البلاد
62	إجازة البرلمان لقرار الإستقرار Settlement Act	إجازة البرلمان لقرار التثبيت (بسط السلطان) Settlement Act
67	(المراجع من 24 إلى 26)	(المراجع في الهوامش من 24 إلى 26)
69	المراجع الرئيسية	ضبط المراجع الرئيسية من ص.96-71
	مراجع أخرى	جرد المراجع الأخرى من ص. 71-72
77	إضافة صفحة جديدة	**قائمة تصويب الأخطاء وتحرير النص بمسودة النسختين الإلكترونيتين السابقتين (draft 64&65)**

تعليق الكاتب:

على مستوى شخصي, فالمفارقة الكبرى في هذا البحث أنني مَدين للورد العمدة the Lord Mayor لـ "المدينة" أو لندن المدينة the City of London بتسبّبه, دون قصد طبعا في خروج هذا البحث إلى الوجود. فالجامعة الإنجليزية التي تخرجت فيها من كلية الهندسة في مرحلة البكالوريوس وقبل سنوات طويلة, نظرْتُ حيث نظرْتُ ذات مساء بين دهاليز شبكة الإنترنت لأجد اللورد العمدة عضوا في مجلس إدارة الجامعة. قلت لنفسي, حسنا .. مجرد .. معـ .. لـ .. ومة .. تركت السؤال جانبا في قطار الحياة, لأعود إليه مرة أخرى في رحلة استكشافية تمخض عنها "الديمقراطية والتحيز: رحلة أيديولوجيا في المنطقة الظلامية الأنقلوساكسونية".

مجددا, من ص. 49:
وكيلا يختلط الأمر, فننوّه إلى أن اللورد العمدة The Lord Mayor of London , ليس عمدة لندن, أي ليس the Mayor of London وطبعا هذه إحدى إشكالات التسمية, ومخاطر التلاعب باللغة في الإنجليزية, سواء عن عمد أم غير ذلك. إذ في زمننا هذا لندن في الحقيقة مدينتان, لندن الكبرى, أو Greater London, و"المدينة" the City التي هي ركيزة هذا البحث والجزء غير الظاهر من السلطة في المملكة المتحدة. "المدينة" لها شرطة منفصلة وهناك طبعا الأخطر. لأنها الجزء الوحيد من الرقعة الجغرافية للملكة المتحدة التي ليس للبرلمان البريطاني سيادة عليها. إذا عمل أي شخص كوبي بيست من جهاز موبايل أو في منتدى فيُرجي للإحتياط نسخ العربي والإنجليزي كلّ في سطر منفصل حتى لا يحدث لبس.